مقدمة

أصدر قاض فدرالي في الأرجنتين يوم الخميس 7 ديسمبر 2107 أمراً باعتقال الرئيسة الأرجنتينية السابقة «كريستينا فرناندیز» وعددا من زملائها؛ بينهم «هيكتور تيمرمان» وزير الخارجية في عهد «فرناندیز» بتهمة الخيانة والتواطؤ مع النظام الإيراني، والتستر على التحقيقات المتعلقة بتفجير مركز يهودي في بونيوس آيرس في 18 يوليو عام 1994، ما خلّف (85) قتيلا و(300) جريح. «وأكد القضاء الأرجنتيني أن المدعي «ألبيرتو نيسمان» الذي كان مكلّفا بالتحقيق في اعتداء ضد الجالية اليهودية، قد تم اغتياله، مستبعدا بذلك وبشكل نهائي، فرضية الانتحار. وكان قد عثر على «نيسمان» في 18 كانون الثاني/يناير 2015 في حمام شقته مصابا برصاصة في الرأس. لكن المحقّقين لم يتمكنوا من تأكيد وجود شخص آخر عند موته في شقته الواقعة في حي بويرتو ناديرو الرّاقي.

وكان «نيسمان» قد سلم إلى القضاء ملف اتهام ضد الرئيسة الأرجنتينية السابقة «كريستينا كيرشنر»، التي يأخذ عليها القضاء أنها وقعت مع طهران اتفاقا، ليستمع حقوقيون أرجنتينيون في العاصمة الإيرانية لمسؤولين إيرانيين كبار يشتبه بتورطهم في الاعتداء؛ لأن ذلك متعذر في بوينوس آيرس.

وأمر القضاء الأرجنتيني في كانون الأول/ديسمبر 2017 برفع الحصانة عن «كيرشنر» وتوقيفها بتهمة عرقلة التحقيق في الاعتداء على المركز اليهودي.

كما أمر القاضي الفيدرالي «كارلوس بونادیو» أيضا، بتوقيف وزير الخارجية السابق «هكتور تيمرمان» وعدد من المسؤولين السابقين الآخرين[1]".

وفي الوثائق التي تقدم بها النائب العام الأرجنتيني «ألبرتو نيسمان» الذي قتل في ظروف غامضة قبل يوم من تقديم تقريره، إلى أن هناك من كان يسعى لعرقلة هذه التحقيقات ونشر نتائجها التي تدين إيران، وتكشف عن توسع الشبكة الاستخباراتية الإيرانية في أمريكا الجنوبية والأرجنتين. وكما يكشف تقرير «نيسمان»، فإن هذه الشبكات في وضع يتيح لها أن تصبح نشطة عند الحاجة. ويتنكر العديد من أعضاء تلك الشبكات في صورة مبعوثين دبلوماسيين أو ثقافيين.

بعد تحقيقات استمرت عقودا، اغتيل خلالها النائب العام «ألبرتو نيسمان» المكلف في التحقيق بتفجيرات بيونس آيرس، والتي ذهبت إلى أبعد من مجرد التحقيق في الحادثة، لتكشف عن شبكة تجسس واستخبارات واسعة ونشطة في أمريكا اللاتينية تعمل لصالح إيران؛ يأتي الخبر الأخير برفع الحصانة عن الرئيسة الأرجنتينية السابقة «كريستينا كيرشنر» وبعض مساعديها، ليكشف عن مدى تغلغل ونفوذ إيران وحزب الله في أمريكا اللاتينية وفي أوساطها السياسية، الأمر الذي ينذر بخطر كبير يطرق الأبواب الخلفية للولايات المتحدة الأمريكية.

1 -http://www.france24.com/ar/20180602القضاء- الأرجنتيني- يؤكد-أن-المدعي- نيسمان- تعرض- للاغتيال

يكشف الأمر عن أنّ سياسات الهيمنة والنفوذ الإيرانية هي سياسات ذات وجهين؛ ففي حين ترفع شعارات المقاومة ومحاربة الاستكبار العالمي، تقوم بذات الوقت من خلال سياساتها الرسمية وغير الرسمية وأنشطتها غير المشروعة بتهديد الأمن الإقليمي والدولي. من تصدير الثورة إلى تصدير التشيع بجوانبه المختلفة العقائدية والإعلامية والسياسية، إلى ممارسة أنشطة غير مشروعة، تبين بكل وضوح أنها لا تتورّع عن استخدام أيّ شيء لحماية مصالحها وتوسيع نفوذها، فما يهم إيران هو مصالحها أولا وأخيراً، وهي على استعداد للتعامل مع من تصفهم بأعدائها من أجل ذلك كما حدث في قضية إيران كونترا الشهيرة وتعاونها مع الولايات المتحدة والاستخبارات الإسرائيلية، أو مع المنظمات الإجرامية كما تفعل في أمريكا اللاتينية من تحالفات مع كارتيلات المخدرات وتجار السلاح، أو حتى تهديد أمن واستقرار دول ترتبط بها علاقات طبيعية وتجارية من خلال دعم الحركات المسلّحة والانفصالية، مثل حركة «كاسامانس» الانفصالية في السنغال، وحركة «إبراهيم الزكزاكي» في نيجيريا، وكذلك الكشف عن توريد وبيع أسلحة، ما أدّى إلى توترٍ في العلاقات بين إيران وبعض الدول الأفريقية.[2] وليس أخيراً، وثائق أبوت آباد التي كشفت عن وجود علاقة قوية بين الاستخبارات الإيرانية والقاعدة، وهو ما نقلته العديد من الصحف العالمية. [3]

في كتاب بعنوان «الاستراتيجية الإيرانية في اختراق أمريكا اللاتينية»[4] رأى الخبيران في الشؤون الإيرانية «جوزيف هومير» و«إيلان بيرمان»، من خلال مجموعة من الدراسات ساهم فيها عدد من الباحثين والخبراء بالشؤون الإيرانية، أن أمريكا اللاتينية تعدّ من أبرز المجالات الحيوية للسياسات الخارجية الإيرانية، بعد الشرق الأوسط، فهي الملعب الخلفي للولايات المتحدة، ومعبر مثالي لها ولاستهداف مصالحها. وقد عملت إيران من خلال وكلائها على بناء شبكة واسعة من العلاقات التجارية، وأهمهم «محسن رباني» الذي يصفه بابن لادن الإيراني، مع ما يتمتع به من حصانة دبلوماسية بحكم أنه الملحق الثقافي في السفارة الإيرانية. «يقدم المؤلفون مجموعة واسعة من المعلومات التي تشمل المشاركة الإيرانية العلنية والسرية في أمريكا اللاتينية، بدءا من تفجير حزب الله عام 1994 في المركز الثقافي اليهودي في بيونس آيريس، واستخدام إيران للنظام النقدي الإقليمي (SUCRE) (النظام الموحد) لتجنب العقوبات، ووجود المستشارين العسكريين الإيرانيين في مدرسة Alba الدفاعية الإقليمية في بوليفيا. تساهم حجج كل دراسة في تقديم

2 نشير، هنا، إلى الدراسة التي أعدّها مركز بحوث تسليح الصراع:

The Distribution of Iranian Ammunition in Africa

http://www.conflictarm.com/wp content/uploads/2014/09/Iranian_Ammunition_Distribution_in_Africa.pdf

3 نشير هنا إل ما نشرته كل من صحيفةThe Atlantic ، ومعهد بروكينغز ونيويورك تايمز والتيليغراف:

https://www.theatlantic.com/international/archive/2017/11/al-qaeda-iran-cia/545576/

https://www.brookings.edu/opinions/the-al-qaeda-iran-connection/

https://www.nytimes.com/2011/07/29/world/29terror.html

https://www.telegraph.co.uk/news/2017/11/01/iran-relationship-al-qaeda-revealed-newly-released-trove-bin/

4 **Iran's Strategic Penetration of Latin America**, edited by: by Ilan Berman,

Joseph M. Humire, Lexington book, 2014

صورة مقنعة للنشاط الإيراني الشرير في أمريكا اللاتينية. ويستخدم المساهمون مصادر موثقة بدقة، بما في ذلك مقابلات مع مسؤولي الاستخبارات في أمريكا اللاتينية، وتقارير وسائل الإعلام الإخبارية، وإصدارات ويكيليكس».[5]

وبحسب دراسة أعدّها مركز كارنيجي «**انتهجت إيران استراتيجية تقوم على نسج علاقات مع كيانات غير دُولتية لمساعدتها على ترقية مصالحها الاستراتيجية**»، و«تؤثِّر الهوية والعقائد الدينية على مقاربة إيران لعلاقاتها الخارجية، لكنّها لا تُمليها. لا، بل يُعدّ دور الدين ضئيلاً في علاقات إيران مع الدول؛ **بيد أن عامل الدين يبرز بشكل واضح في روابط إيران مع الجماعات غير الدُولتية**»[6] ...«حين تُحلّل سلوكيات إيران الاستراتيجية، وعملية صنع القرار فيها، حريٌّ بنا أن نلاحظ أنّ ثمّة مستويين رئيسين في سياستها الخارجية، كلاهما يقعان تحت العين الساهرة للمرشد الأعلى، ويخضعان لسلطته، لكنّهما يختلفان في الشكل والمضمون؛ المستوى الأول هو السياسة من دولة إلى دولة، التي تديرها، في معظم الأحيان، الحكومة المنتخبة في طهران؛ والثاني هو علاقة إيران مع الكيانات غير الدولتية، التي يشرف عليها الحرس الثوري، وتجري غالباً خارج سياق صلاحيّات الحكومة».[7]

يُعدُّ «الحرس الثوري الإيراني» أهمَّ مؤسّسة ذات ثقل اقتصادي وسياسي وعسكري في إيران، وتتولى المسؤولية المباشرة عن سياسات إيران غير الرسمية. وقد اهتمّت العديد من الدراسات، في العقدين الأخيرين، بتنامي قوة الحرس الثوري الإيراني. وبحسب دراسةٍ أعدّتها مؤسسة (راند) تحت عنوان: (understanding Iran) خلصت إلى أنّ الحرس الثوري الإيراني هو المسؤول المباشر عن السياسات غير الرسمية خارج حدود إيران، من دعمٍ للشيعة، وتقديم الدعم المالي، وتدريبهم على القتال وإرسالهم إلى سورية، والعراق، واليمن. والحرس الثوري الإيراني ليس مجرد مؤسسة عسكرية، بل هو أكبر مؤسسة اقتصادية وسياسية في إيران، «يمكننا أن نصنف تنامي تسييس هذه المؤسسة، وزيادة مشاركتها في المجال الاقتصادي منذ العام (1997م)، وبلوغها الذروة الكاملة في (2004م)، على أنّها بدء انطلاق الثورة الإيرانية الثالثة»[8]. وتشير الدراسة إلى تنامي نفوذ الحرس الثوري الإيراني في الحياة السياسية والاقتصادية، بما يفوق أهميتها العسكرية. ومن الجدير بالذكر، أنّ ثقل هذه المؤسسة ونفوذها على المستوى الداخلي، وتحكّمها في السياسات غير الرسمية على المستوى الخارجي، يجعلان منها قوة ذات نفوذ إقليمي ودولي قويّ، كلّما تمكنت إيران من فكّ عزلتها الدولية، ودخولها في شراكات تجارية واقتصادية إقليمية ودولية.

ويُقدَّر -بحسب الدراسة السابقة- عدد ما نفّذه الحرس الثوري من المهمات المتعلقة بالأمن الداخلي، والدفاع الخارجي، وبقاء النظام، حتى العام (2005م) تقريباً، بما يقرب من (120) ألف مهمّة. ولا بد من أنّ هذا العدد تضاعف بشكل كبير في السنوات العشر الأخيرة، التي عرفت تورطاً متصاعداً للحرس الثوري في تضاعيف السياسة

5 http://smallwarsjournal.com/jrnl/art/book-review-iran's-strategic-penetration-of-latin-america

6 أستورا، أفشان، المعضلات الطائفية في السياسة الخارجية الإيرانية: حين تتصادم سياسات الهوية مع الاستراتيجية، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 30 نوفمبر 2016، http://carnegie-mec.org/2016/11/30/ar-pub-66377.

7 نفسه.

8 Understanding Iran, rand institute, page 12:

http://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/monographs/2008/RAND_MG771.pdf

العراقية، وصولاً إلى تشكيل وقيادة ما يُسمّى مليشيات الحشد الشعبي، وكذلك تورّطه في مستنقع الحرب السورية، وتأسيسه ودعمه للعشرات من المليشيات الشيعية، التي تقاتل إلى جانب النظام السوري، وليس أخيراً العديد من الأدلة والشواهد لتداخلاته بالدعم والتدريب والتمويل للحوثيين في اليمن.

وفي ذات الدراسة أيضاً، «يدخل الحرس الثوري موارد مالية مهمة إلى السلطة السياسية، بسيطرته على مجموعة من الشركات الفرعية التي اخترقت تقريبا كل قطاع من قطاعات السوق الإيراني، من البناء والعقارات إلى جراحة العيون بالليزر، إلى صناعة السيارات. **يقال، إن الحرس الثوري يدير أيضا شبكات التهريب اللامشروعة التي تشكل اقتصاد الظل الضخم الواسع**».[9]

نقدم في هذه الدراسة، للقارئ دراسة متكاملة وموثقة تلقي الضوء على أنشطة إيران في أمريكا اللاتينية، والتي أثارت جدلاً واسعاً في المحافل الدولية ووسائل الإعلام خلال العقود الماضية. ومؤخّرًا دعت الولايات المتحدة لمواجهة أنشطة إيران وتوسيع التحقيقات بشأنها، فضلاً عن أنها صنفت حديثاً الحرس الثوري الإيراني وفيلق

القدس كمنظمة إرهابية، كما صنفت ذراعها في لبنان «حزب الله» بشقيه العسكري والسياسي كمنظمة إرهابية أيضاً، وكذلك صنفت بريطانيا حزب الله بشقيه كمنظمة إرهابية.

فضلاً عن ذلك، تصنف كل من هولندا وكندا والسعودية والإمارات والبحرين حزب الله بشقيه السياسي والعسكري كمنظمة إرهابية، بينما أدرج الاتحاد الأوروبي وفرنسا وألمانيا الجناح العسكري لحزب الله في قائمة المنظمات الإرهابية.

ومؤخراً دعت الولايات المتحدة لتوسيع التحقيقات الدولية بشأن نشاطات حزب الله، ولكن حتى تاريخ اليوم لم نجد استراتيجية واضحة بشأن استكمال التحقيقات حول هذه الأنشطة، رغم وجود أدلة وإثباتات وفيرة حول تورط أشخاص ذوي علاقة بحزب الله وإيران في العديد من الأنشطة غير المشروعة.

كيف نستطيع إذن معالجة موضوع التوسع الإيراني في أمريكا الجنوبية، الذي يبدو أنه ليس مجرد توسع دبلوماسي أو حتى اقتصادي، بل هو توسع عقائدي وعسكري وسياسي واستخباراتي؟ للإجابة عن هذا السؤال، لا بد من إدراك أن السياسة الإيرانية عملت خلال السنوات الأخيرة ضمن محورين أساسيين: الأول هو محاولة فك الحصار المفروض عليها من خلال العقوبات الغربية، والثاني هو تثبيت توسعها الإقليمي في الشرق الأوسط كمدى استراتيجي لدخولها إلى السياسة العالمية كدولة قوية، لا بد من الرجوع إليها فيما يتعلق بأي اقتسام للنفوذ في المنطقة. ارتكزت سياسة إيران الخارجية مؤخراً على النقاط الرئيسة الثلاث التالية:

9 نفسه.

ـ اتخاذ موقف من الولايات المتحدة وإسرائيل؛ لأن الولايات المتحدة قوة عسكرية تهددها في الخليج العربي، في حين يمثل الموقف من إسرائيل جزءا من سياستها الدعائية الإسلامية لما بعد الثورة.

ـ التخلص من التأثيرات الخارجية في المنطقة، حيث بدأت إيران تعمل لتكون قوة إقليمية يحسب حسابها، ولا يتم التدخل في شؤون المنطقة دون الرجوع إليها، وهو أمر لا تريده الولايات المتحدة أو بريطانيا. ولهذا، فقد عملت على تقليص دورهما في الخليج العربي.

ـ طورت إيران بشكل فعال وقوي الاتصالات الدبلوماسية مع الدول الأخرى النامية، القريبة والبعيدة، لبناء شبكة علاقات تجارية ومصالح سياسية مشتركة، بعد أن فقدت ما كانت تتمتع به من دعم أمريكي في زمن الشاه.[10]

لكن على الرغم من هذه الخطوط الموجهة للسياسة الخارجية الإيرانية، فإن العلاقات الثنائية غالباً ما كانت غامضة أو حتى متعارضة مع دول الخليج، وخاصة مع المملكة العربية السعودية؛ وذلك بسبب تفاوت وتأرجح إيران المستمر بين المظهر البراغماتي والجانب العقائدي.[11]

أسئلة البحث:

هل تقود إيران أعمالا غير مشروعة في أمريكا اللاتينية؟ هل تساهم في أنواع من الاتجار غير المشروع بالأسلحة والمخدرات والبشر عبر مجموعات مسلحة تابعة لها في المنطقة؟ هل يعمل حزب الله من خلال المشاركة مع كارتلات إرهابية وإجرامية منظمة في أمريكا الجنوبية على جني ملايين الدولارات لتمويل أعماله؟

لقد شنت الصحافة الأمريكية جملة من الاتهامات الموجهة إلى إيران وحزب الله، بارتكاب أعمال غير مشروعة وإرهابية، وعلى رأسها الاعتداءان على السفارة الإسرائيلية، وعلى الجمعية اليهودية في بوينس آيرس في التسعينيات من القرن الماضي. وتناولت الصحافة اللاتينية بشكل خاص هذه الاتهامات نقلا عن بعض المصادر الأمريكية أو الاستخباراتية، أو حتى القضائية التي حققت في هاتين القضيتين. فما هي صحة كافة هذه الاتهامات، وهل هي مبنية على دلائل محكمة؟ أم مجرّد شكوك أو حتى توجّه للضغط على إيران وحزب الله؟

هل يمكن لنا أن ندرج توجه إيران باتجاه أمريكا اللاتينية في الباحة الخلفية للولايات المتحدة ضمن التحركات غير الرسمية لإيران، مع أنها تتم وفق خطوات سياسية مدروسة متعددة الأهداف؟ أم إن هذه الخطوات بالتحديد هي ما يؤرق فعلا الغرب والولايات المتحدة، ومن ضمنها السياسات غير الرسمية المرتبطة بأعمال غير شرعية كالمتاجرة بالمخدرات والسلاح، أو تبييض الأموال أو تدريب الإرهابيين؟

10 Djalili Mohammad-Reza, Kellner Thierry, « L'Iran dans son contexte régional », *Politique étrangère*, 2012/3 (Automne), p. 519-531

11 Saada Julien, « La stratégie politique iranienne: idéologie ou pragmatisme ? », *Revue internationale et stratégique*, 2008/1 (N°69), p. 55-68

تاريخ العلاقات مع أمريكا اللاتينية

أنشأت إيران وعدة حكومات في أمريكا اللاتينية علاقات غير متوقعة فيما بينها خلال السنوات الماضية؛ ولم تكن هذه العلاقات متوقعة؛ لأننا نتحدث هنا عن مجموعتين جيوسياسيتين لم تكن توجد بينهما أية روابط مشتركة على المستوى السياسي أو الثقافي أو التاريخي، بل وحتى على المستوى الذي راكمناه عبر الزمن من حيث العلاقات الدبلوماسية وعلاقات التعاون. إن موقف إيران المعارض للغرب ومساعيها النووية التي يزعم الغرب أنها ذات منحى عسكري، جعلت الغرب ممثلا بعدد من الحكومات الأوروبية، إضافة إلى الولايات المتحدة، يتخذ مواقف صارمة تجاه إيران، مما دفعها بالمقابل إلى تفضيل شراكات مع سلطات مثل السلطة الفنزويلية، وحلفاء لهم مواقف أيضا ضد واشنطن.[12]

في كتاب «لإلودي برن»[13](Élodie Brun) صدر عام 2008، توجه جديد في قراءة العلاقات الدولية، لا يرتكز بالضرورة على تراتبية القوى؛ أي تلك التي تبدأ من القوى الكبرى باتجاه دول العالم الثالث؛ فمفهوم العالم الثالث بدأ يخرج عن كونه مقترناً بالقوى الضعيفة أو التي في طور النمو[14]، ومن هنا لا بد من النظر في كيفية شق هذه الدول طريقها عبر البدء بتشكيل تراصفات غير متوقعة. فالاصطفافات القديمة تم تجاوزها في كثير من الحالات، وبدأ الجنوب يشكل مجموعة غير قابلة للضبط والإمساك بها في توافقاتها الجديدة. بالمقابل، تدعونا الكاتبة برن للتساؤل معها إذا ما كانت السياسات الخارجية لبعض البلدان التي كانت تصنف عادة بأنها «هامشية» هي في الحقيقة ذات طبيعة قادرة على خلق تيارات تحالف جديدة، وبالتالي قادرة على خلخلة لعبة الأقوياء الذين يحددون النظام الدولي منذ عام 1945. وعلى الرغم من أن المنهج الذي اعتمدته الكاتبة لا يندرج في تيار نظري محدد، لكنها تخلص إلى نتائج مهمة في رصد الاتجاهات الجديدة التي بدأت ترتسم بين أمريكا اللاتينية وبعض دول الجنوب مثل إيران، وهي تعتمد على إحصاء مكثف ومرهق للتفاعلات الدولية ذات العلاقة، لتستخلص تفسيراً أشبه باستنتاجات علم الاجتماع المطبق على العلاقات الدولية كما يقول «غيوم دوفان» في تقديمه للكتاب[15]. ويركز الكتاب على العلاقات بين منطقتين؛ هما أمريكا اللاتينية من جهة، والشرق الأوسط من جهة ثانية؛ وذلك عبر دراسة مكثفة للعلاقات بين أربع دول في هاتين المنطقتين، هي: البرازيل ومصر وإيران وفنزويلا. وعلى الرغم من عدم شمول المنطقتين وتقديم

12 Jean Jacques KOURLIANDSKY, L'Iran et l'Amérique latine: des convergences solides et circonstancielles Actuelle de l'Ifri, septembre 2012

13 إلودي برن باحثة في مركز الدراسات الدولية في معهد مكسيكو El Colegio de México، وهي مختصة بالاستراتيجيات التي تضعها دول مختلفة في أمريكا اللاتينية مع شركائها الأفريقيين والآسيويين والشرق أوسطيين.

14 Prost Yannick, « Le Tiers-monde, la fin d'un acteur des relations internationales ? », *Revue internationale et stratégique*, 2007/1 (N°65), p. 23-36. DOI: 10.3917/ris.065.0023

15 راجع مقدمة غيوم دوفان لكتاب إلودي برن: العلاقات بين أمريكا الجنوبية والشرق الأوسط ـ مثال على انطلاقة جنوب ـ جنوب:

Elodie Brun, Les relations entre l'Amérique du Sud et le Moyen-Orient - *Un exemple de relance Sud-Sud*, Préface de Guillaume Devin, Collection *Inter-National*, Editions Le Harmattan 2008

نماذج من العلاقات مع الدول الأخرى[16]، لكن ذلك لا يجب أن يقلل من أهمية الدراسة ونتائجها، بل على العكس، لا بد من التوقف مليّاً عند بعض هذه النتائج.

في مقابلة مع «إلودي برن» مع مجلة «مفاتيح الشرق الأوسط **Clés du Moyen-Orient**» حول موضوع كتابها هذا، تعود إلى بداية القرن العشرين لتتبع العلاقات بين منطقة الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية[17]؛ فالعلاقات بين المنطقتين ليست جديدة، وقد بدأت مع تدفق المهاجرين إلى الأرض الجديدة منذ نهاية القرن التاسع عشر، وكان معظمهم من المسيحيين من سورية ولبنان الحاليتين الهاربين من اضطهاد العثمانيين، وأملاً في تحسين ظروف معيشتهم، وقد أقيمت علاقات دبلوماسية مبكرة أيضاً بين المنطقتين كما حصل بين البرازيل وإيران منذ عام 1903. مع ذلك، فقد تراجعت العلاقات ما بين الحكومات بدءا من خمسينيات القرن الماضي، قبل أن تعود لتشهد حيوية ملحوظة بعد نحو عقدين، ثم لتعود فتتراجع بسبب أزمة الديون. وكان الدافع الرئيس لممثلي دول أمريكا اللاتينية المهتمين بالشرق الأوسط، يكمن في العامل النفطي؛ فبالنسبة إلى بعضهم، وهم أنفسهم من منتجي النفط، يتم النظر إلى الدول العربية وإيران على حد سواء كمساهمين محتملين من المناسب تحويلهم إلى حلفاء، وكان ذلك هو المغزى من إنشاء منظمة الدول المصدرة للنفط OPEP في عام 1960؛ وذلك تحت رعاية فنزويلا والمملكة العربية السعودية. أما بالنسبة إلى قادة لاتينيين آخرين، فإن اهتمامهم كان معكوساً: فهم يستوردون النفط وقد هزت أزمتا الطاقة في عامي 1973 و1979 اقتصاد هذه الدول، ما جعلها تتقارب مع شركائها في الشرق الأوسط من أجل تأمين حاجاتها من النفط، بل ومن أجل بيع هذه الدول أيضاً منتجات مصنعة (وفق نظام التبادل الذي كان شائعاً في تلك الفترة؛ أي التصنيع في مقابل الاستيراد) وجذب الرساميل الناشئة عن البترودولار، وقد انتقل ارتباط عدد من دول أمريكا اللاتينية بالمصدر النفطي إلى مجالات أخرى من السياسة الخارجية. فتحت ضغط العراق والعربية السعودية، أجبرت الحكومات البرازيلية على اعتماد مواقف أقرب لهذه البلدان العربية خلال اجتماع الهيئة العامة للأمم المتحدة، وخاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية.[18]

لا بد من الإشارة أيضاً، إلى تأثير العامل العقائدي في العلاقات التاريخية بين الكاريبي وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط. فالثورة في كوبا وفي نيكاراغوا أدت إلى نسج علاقات مع حكومات من العالم الثالث معادية للولايات المتحدة في إطار الحرب الباردة. ومثال ذلك علاقات نيكاراغوا مع ليبيا معمر القذافي، وكوبا مع الثورة الإسلامية الإيرانية بدءا من عام 1979. وفي المنظور نفسه، اعترف قادة كوبا ونيكاراغوا بفلسطين كدولة منذ عام 1988، عندما أطلقت السلطات الفلسطينية حملتها للاعتراف بفلسطين كدولة.[19]

16 راجع على سبيل المثال

Farouk Yasmine, « L'Egypte est-elle encore une puissance régionale ? », *Confluences Méditerranée*, 2010/4 (N°75), p. 213-224. DOI: 10.3917/come.075.0213

17 Entretien avec Elodie Brun - Les relations entre l'Amérique latine et le Moyen-Orient, Article publié le 20/05/2014, Questions de Anaïs Mit.

18 Elodie Brun, Les relations entre l'Amérique du Sud et le Moyen-Orient

19 Elodie Brun, Les relations entre l'Amérique du Sud et le Moyen-Orient

وأخيراً، فإن الاتصالات بين أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط، ارتكزت أيضاً على استراتيجيات براغماتية[20]، على غرار نظام «بينوشيه Augusto Pinochet» الذي حاول التقرب من دول الخليج بسبب حاجة شيلي للطاقة، بل ومن أجل الحصول على مساعدات من الأمم المتحدة في مواجهات الاتهامات الموجهة لدولته بانتهاك حقوق الإنسان.[21]

وبالنتيجة، فإن أسباب التقارب التاريخية بين أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط في القرن العشرين هي أسباب مختلفة ومتشابكة غالباً في الوقت نفسه[22]، وهي تعكس أهمية استراتيجية وليس مجرد علاقات عقائدية، حتى وإن كان من المؤكد أن الخطاب والآمال السائدة في العالم الثالث قد ساهمت وسهلت في انعقاد هذه الاتصالات، وخاصة في السبعينيات من القرن الماضي[23]، غير أن أزمة الديون التي انفجرت بدءا من عام 1982 والانتقالات التي حصلت نحو الديمقراطية في البلدان اللاتينية، أثرت بشكل عميق على علاقاتها مع دول الشرق الأوسط، ومنها إيران؛ وذلك بسبب الضغوط المادية من جهة، وكذلك بسبب تغير الأولويات الدبلوماسية التي تترجم إعادة تمركز في هذه الدول على علاقاتها مع الولايات المتحدة التي تشكل عاملاً أساسياً في حل مشاكل ديونها.[24]

في نهاية التسعينيات، وخلال العقد الأول من الألفية الجديدة، وصلت حكومات يسارية في دول أمريكا اللاتينية إلى الحكم، وقد أدى ذلك إلى تجديد العلاقات مع الشرق الأوسط. مع ذلك، علينا ألا نقيم هذا الربط بشكل آلي؛ وذلك لسببين. إن أطراف الجهة اليسارية اللاتينية الأمريكية كثر ومتعددون، والقادة المنتخبون لا يعتمدون بالتالي التوجه الإيديولوجي نفسه. فممثلا التوافق الشيلي «ريكاردو لاغوس» (2000 ـ 2006) و«ميشيل باشليه» (2006 ـ 2010) كلاهما معتدلان، ويهتمان بالشرق الأوسط لأسباب اجتماعية (الوجود الكبير لمجتمع من أصول فلسطينية، مؤسس لمشاريع ونشط في جزء منه في الدوائر السياسية) واقتصادية (فتح أسواق الخليج العربي وجذب استثماراته). مع ذلك، فإن تسييس الروابط ظل حيادياً، كما يبين ذلك التفاهم الجيّد الذي ظل قائماً لدول أمريكا اللاتينية مع إسرائيل. وعلى العكس، فإن الرئيس الفنزويلي «هوغو شافيز» (1999 ـ 2013) تبنى موقفاً عقائدياً ومتحدّياً في استراتيجيته تجاه الشرق الأوسط.. وفي الواقع، فإن رؤيته النقدية للعلاقات الدولية كان لها كهدف رئيس أن تعري وتصيب العمل والتدخل الدوليين للحكومات المتعاقبة على الولايات المتحدة، حيث ينظر إلى أهداف هذه الحكومات على أنها معاكسة لمصالح بلاد الجنوب؛ لأنها تتابع منطق السيطرة والاستغلال. تتمثل رمزية هذه السياسة المتشددة في قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل في عام 2009 بعد عملية (Plomb Durci) المنفذة في قطاع غزة، وكان هدفه من قطع العلاقات الدبلوماسية هو دعم القضية الفلسطينية[25]. ومن جهة أخرى، لم يكن قادة من اليسار

20 Jean Jacques Kourliandsky, Monde arabe et Amérique latine: un moment de vérité, Le *Monde Idées*, 22 fev. 2011

21 Elodie Brun, Les relations entre l'Amérique du Sud et le Moyen-Orient

22 Ferhi Salah, « L'immigration arabe dans le monde », *Migrations Société*, 2009/5 (N° 125), p. 11-40

23 BAEZA, Cecilia, « América Latina y la cuestión palestina », *Araucaria*. *Revista Iberoamericana de Filosofía, Política y Humanidades*, année 14, n°28, 2e semestre 2012, p.111-133

24 Elodie Brun, Les relations entre l'Amérique du Sud et le Moyen-Orient

25 Anaït Mit, L'Amérique latine et la question palestinienne, Les Clés du moyen orient, 8/ 5/ 2014

فقط هم الذين عملوا لصالح تقارب مع الشرق الأوسط. فعلى سبيل المثال، تابع الرئيس التشيلي «سباستيان بينيرا» (2010 ـ 2014) الأعمال التي بدأها سلفاه، بل وقام بأول زيارة لرئيس تشيلي إلى الشرق الأوسط، حيث زار في عام 2010 الأراضي الفلسطينية وإسرائيل والأردن. كذلك قام نظيره البيروفي «آلان غارسيا» (2006 ـ 2011) بتشجيع إقامة العلاقات مع هذه المنطقة، خاصة مع قبول استضافة القمة الدول الأمريكية الجنوبية والدول العربية (ASPA) التي عقدت في عام 2012.[26]

أما كوبا، فتشكّل حالة استثنائية بالنسبة إلى دول أمريكا الجنوبية وعلاقتها بالمنطقة. فدبلوماسية هذا البلد استمرت في توجهها منذ الثورة التي استلمت السلطة في عام 1959. وقد زار «فيديل كاسترو» طهران في عام 2001؛ وذلك في إطار العلاقات القائمة مع إيران بدءا من ثمانينيات القرن العشرين.[27]

بالمقابل، فقد شكّلت رئاسة هوغو شافيز تحولاً مهمّاً في توجه ودبلوماسية العلاقات الفنزويلية. كانت لفنزويلا علاقات سابقة مع إيران منذ خمسينيات القرن العشرين بسبب الجانب النفطي للاقتصاد في هذا البلد من بلدان أمريكا اللاتينية[28]. وقد زار الرئيس «كارلوس أندريه بيريز» الشريك الإيراني في سبعينيات القرن الماضي. لكن إيران كانت لا تزال في عهد حكم الشاه، وهو حليف الولايات المتحدة، غير أن التغيير الذي حصل مع الثورة الإسلامية أدى إلى تراجع الاتصالات مع فنزويلا، والتي أصبحت محدودة بإطار الـ OPEP[29]، ثم عادت العلاقات الثنائية للتوسع إثر وصول «هوغو شافيز» إلى السلطة، وبشكل خاص بعد عام 2005. وقد حصلت عدة تغيرات مهمة خلال هذا التاريخ: إطلاق حركة الإصلاح من قبل وزير العلاقات الخارجية الفنزويلي الذي تبنى الاتجاه الثوري البوليفاري في بلده، وسارع في تحقيق التوجهات الرئاسية؛ وكذلك وصول «محمود أحمدي نجاد» إلى الرئاسة الإيرانية (2005 ـ 2013)، وهو المحافظ والمعروف بمواقفه المتشددة على المستوى الدولي، الأمر الذي عقّد كثيراً علاقات إيران ونظامها الإسلامي مع القوى الكبرى والمسيطرة (لم تقم الثورة الإيرانية علاقات دبلوماسية مع الولايات المتحدة منذ عام 1979، إضافة إلى مسألة أخذ الرهائن الأمريكيين، وبينهم دبلوماسيون في عام 2002. يضاف إلى ذلك، اتهام الحكومة الإيرانية بأنها تطور برنامج طاقة نووية لغايات عسكرية من قبل دول كثيرة بينها الولايات المتحدة والعديد من الدول الأوروبية).[30]

وسط هذه الظروف، فقد تشاركت فنزويلا مع إيران رؤية نقدية للنظام الدولي الذي تنظران إليه بأنه نظام إمبريالي، في حين تعرفان نفسيهما بأنهما دولتان ضد الإمبريالية. وقد تقاربت بالتالي فنزويلا مع الشركاء الإيرانيين الذين كانوا في محاولاتهم لكسر العزلة الدولية المفروضة على إيران مستعدين لتوقيع اتفاقيات تعاون تتضمن نقل

26 Elodie Brun, Les relations entre l'Amérique du Sud et le Moyen-Orient

27 Elodie Brun, Les relations entre l'Amérique du Sud et le Moyen-Orient

28 BAEZA, Cecilia, « América Latina y la cuestión palestina », *Araucaria. Revista Iberoamericana de Filosofía, Política y Humanidades*, année 14, n°28, 2e semestre 2012

29 Elodie Brun, Les relations entre l'Amérique du Sud et le Moyen-Orient

30 Elodie Brun, Les relations entre l'Amérique du Sud et le Moyen-Orient

التكنولوجيا.[31] ويعد ذلك أحد الجوانب المهمة في الدبلوماسية الفنزويلية من حيث تعويض العجز في المعارف المحلية بسبب نقص تأهيل اليد العاملة، وكذلك بسبب الاستقطاب السياسي الوطني الذي أدى إلى هجرة نسبة معينة من الأدمغة والكفاءات. فوفق توجه العقيدة البوليفارية، فإن الدول المتقدمة أقل اهتماماً بمشاركة معارفها مع شركائها في البلدان النامية. وضمن هذا الإطار المنطقي، إنما تندرج أيضاً الاستراتيجية تجاه إيران. لقد شكل عام 2013 انعطافاً في العلاقات الثنائية إثر وفاة «هوغو شافيز»، ومع نهاية مدة رئاسة «محمود أحمدي نجاد». في فنزويلا سار الرئيس الجديد المنتخب في نيسان 2013 «نكولاس مادورو» على خطى سلفه. وقد كان وزيرا له في العلاقات الخارجية بين عامي 2006 و2012. وعلى العكس، ففي الجهة الإيرانية بدا «حسن روحاني» الرئيس الجديد المنتخب أكثر اعتدالاً، وهو ما يظهر بوضوح من خلال تطور ملف النووي الإيراني خلال السنوات التالية.[32] مع ذلك، يبدو أن الرئيسين الجديدين أرادا الحفاظ على شراكتهما الاستراتيجية: فقد حصلت عدة زيارات رفيعة المستوى بين إيران وفنزويلا خلال السنوات القليلة الماضية، إضافة إلى الاتصالات المباشرة بين مفوضيتيهما. وثمة أسباب كثيرة تسمح بتفسير هذا التقارب؛ ففي إيران يملك المرشد الأعلى للثورة الكلمة الفصل وقد كانت حتى اللحظة مع بقاء العلاقات مع فنزويلا. وعلى صعيد آخر، لا تزال الدبلوماسيتان الإيرانية والفنزويلية تعانيان من صعوبات مع الإدارة الأمريكية استمرت طيلة عهد «أوباما»، ولا يبدو أنها ستنتهي قريباً، مما يزيد من حاجة البلدين إلى الحفاظ على تقاربهما. إضافة إلى ذلك، فإن الكثير من الاتفاقيات المبرمة لا تزال قيد التنفيذ أو لم يتم البدء بتنفيذها بعد؛ فقد تم توقيع (275) اتفاقية ثنائية بين البلدين منذ عام 2000، وهي تمثل (70) مشروع تعاون يقع معظمها في فنزويلا.[33]

كيف واجهت إذن دول أمريكا اللاتينية ما سمي بـ «الربيع العربي» في عدد من الدول العربية؟

تعددت مواقف الدبلوماسية في دول أمريكا اللاتينية بمواجهة حركات «الربيع العربي»[34]؛ فلا يوجد توافق على مستوى الحكومات، ولا على مستوى جمعيات المجتمع المدني أو تجمعات الجاليات العربية (تلك المؤلفة بشكل خاص من أصول لبنانية وسورية، مسيحية الأصل، ومعظمها من الموالين لنظام الرئيس بشار الأسد فيما يتعلق بسورية). وقد تضمن الإعلان الختامي لقمة قادة الدول والحكومات في مجموعة دول أمريكا اللاتينية والكاريبي (CELAC)، والذي عقد في لا هافانا في كانون الثاني 2014، فقرة حول المسألة السورية (رقم 67). ومحتوى هذه الفقرة، جاء عامّاً، مما يشير إلى نقص في الاتفاق الإقليمي حول هذه المسألة. وقد أبدى الممثلون المجتمعون من أمريكا اللاتينية والكاريبي اهتمامهم بمواجهة الوضع الإنساني والتهديد الذي تمثله الحرب في سورية على السلام والأمن الدوليين. ويقدم الرؤساء

31 Elodie Brun, Les relations entre l'Amérique du Sud et le Moyen-Orient

32 Sébastien Boussois, L'accord iranien sur le nucléaire, une révolution géopolitique pour la région et pour le monde, GRIP 27 juillet 2015

33 Elodie Brun, Les relations entre l'Amérique du Sud et le Moyen-Orient

34 MORAN, Raphaël, « L'Amérique latine reconnaît l'Etat palestinien », *Médiapart*, 10 janvier 2011

في هذا التقرير دعمهم للحوار وعقد مؤتمر دولي حول المسألة (جنيف) مع تأكيدهم على تمسكهم بمبادئ السيادة والاستقلال وتحديد المصير ووحدة الأراضي، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلد المعني[35].

وبشكل عام، فإن الحكومات اللاتينية الأمريكية، التي تضم جاليات عربية واسعة، خاصة من دول المشرق العربي[36]، تبدو متشككة تجاه اللجوء إلى التدخل، وخاصة التدخل المسلح، كطريقة فعالة لحل الصراعات، وهي تدعو بالأحرى إلى الحوار بين الأطراف المتنازعين. ومن المفيد أن نذكّر بتجربة أمريكا اللاتينية في مجال التدخل من طرف القوى الأجنبية التي تساهم أكثر في تعزيز هذا الوضع المتكتّم. مع ذلك، فإن هذا القاسم المشترك لم يولّد في أي حال من الأحوال ممارسات وقرارات مشتركة. لنأخذ على سبيل المثال ليبيا. فالقرار رقم 1973 الذي اتخذ في آذار عام 2011، وصوت عليه مجلس الأمن في الأمم المتحدة أدى إلى تدخل طيران تحالف الناتو وبعض الدول الحليفة، ومنها العربية مثل قطر، وكان أحد نتائجه العديدة سقوط نظام معمر القذافي. وجاءت ردود الفعل من أمريكا اللاتينية بشكل ردود فعل مبعثرة ومتعددة فيما يخص الأزمة الليبية. فالسلطات في فنزويلا وكوبا ونيكاراغوا نددت بالعملية، معتبرة أنها تكشف عن نوايا القوى الغربية ممثلة بالولايات المتحدة وأوروبا الغربية لفرض هيمنتها، وهي لم تخف ميلها لصالح النظام الذي كان سائداً في ليبيا. بالمقابل، انتقدت دول أخرى عملية التدخل، ولكنها تجنبت الارتباط بنظام القذافي وتأييده. وكان هذا موقف حكومة «ديلما روسيف» (2011 ـ) في البرازيل الذي دعم تعليق عضوية ليبيا في جمعية حقوق الإنسان في اجتماع الهيئة العامة للأمم المتحدة، وامتنع عن التصويت على القرار رقم 1973 في مجلس الأمن (كانت البرازيل في ذلك الوقت عضوا غير دائم)[37]. ولا بد لنا من ربط الموقف البرازيلي مع تطلعاتها الإصلاحية الشاملة ومحاولاتها في التنسيق مع شركائها الآخرين في مجموعة البريكس السياسية (البرازيل، روسيا، الهند، الصين، جنوب أفريقيا)؛ غير أن التصويت المشترك لم يكن متفقاً عليه بين هذه الدول، حيث صوتت جنوب أفريقيا لصالح القرار رقم 1973، في حين اصطفت البرازيل إلى جانب الصين والهند وروسيا. وأخيراً، فهناك مجموعة ثالثة من الحكومات، ممثلة بالحكومتين الشيلية والمكسيكية، دعمت التدخل بشكل واضح وصريح[38]. وحتى إذا كان ممثلو هاتين الدولتين قد عبروا بشكل مستمر عن انتقاداتهم تجاه هذه الطريقة في التدخل، لكن قرارهم ارتكز بشكل خاص على المبادئ والتفسيرات القانونية المقدمة في مجلس الأمن. فما يهم بنظرهم كان احترام الإجراءات الشرعية. فإذا كان هذا هو الحال، فلماذا لا ينضوون ضمن إطار الدول الأغلبية. وهذه النقطة على غاية من الأهمية، لفهم اختلافات المواقف بين رفضهم للحرب على العراق في عام 2003 (شيلي والمكسيك كانتا في ذلك الوقت عضوين غير دائمين في مجلس الأمن،

35 Elodie Brun, Les relations entre l'Amérique du Sud et le Moyen-Orient

36 **Alain** Roussillon, « Diasporas arabes en Amérique latine ? », *Transcontinentales* [En ligne], 4 | 2007, document 6, URL: http://transcontinentales.revues.org/646

37 Elodie Brun, Les relations entre l'Amérique du Sud et le Moyen-Orient

38 Mélodie Le Hay, Les Clés du moyen orient, «L'histoire secrète de la crise irakienne: la France, les Etats-Unis et l'Irak, 1991-2003», 12/ 5/ 2014

وأظهرتا رفضاً لمشروع إدارة جورج دبليو بوش)، وبين موافقتهم على التدخل في ليبيا، الذي أقر مسبقاً عبر تصويت في مجلس الأمن وفق ما ينص عليه القانون الدولي العام في ميثاق الأمم المتحدة.[39]

إيران وأمريكا اللاتينية: تقاربات صلبة أم وقتية؟[40]

إن العلاقة بين إيران ودول أمريكا اللاتينية تثير التساؤل على أكثر من صعيد: فما هي أهداف إيران من شركائها الأمريكيين اللاتينيين؟ وما هو الهدف الفعلي من هذه العلاقة لكل من الطرفين؟ وهل هي ترسم خطوط انبثاق مواجهة جديدة من نمط تلك التي شهدها العالم خلال الحرب الباردة؟ إن التصريحات التي يدلي بها المسؤولون الإيرانيون وبعض الرؤساء في أمريكا اللاتينية، إضافة إلى بعض المسؤولين في الحزب الجمهوري الأمريكي، تؤكد كما يبدو فرضية عداء دولي جديد تأسس في السنوات القليلة التي خلت.[41].

تبين الاتصالات الجارية بين المسؤولين، التي تعطي صورة عامة، وكافية للكشف عن كثافة العلاقة، تصاعداً منتظماً في مدى العلاقة وشدتها خلال السنوات الماضية، وهذا ما ظهر في التصريح الذي أدلى به أحمدي نجاد قبل سفره عام 2012 إلى أمريكا الجنوبية، حيث قال إن الكفاح ضد الأنظمة المهيمنة التي تسعى للتدخل في شؤون البلاد الحرة، يتطلب تعاضد الدول التي تسعى إلى تحقيق مثلها وقيمها[42]. وقد قام رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية «محمود أحمدي نجاد» في حزيران عام 2012 بجولة في أمريكا اللاتينية، وكانت زيارته الخارجية الثانية في عام 2012 والسادسة منذ انتخابه في عام 2005. وقد زار نائب الرئيس «علي سعيدلو» كوبا وبوليفيا ونيكاراغوا وفنزويلا في أيار من العام نفسه. ومن جهته، قام رئيس دولة فنزويلا بزيارة طهران تسع مرات بين عامي 2000 و2010، ست منها بين عامي 2006 و2010، الأمر الذي عبر عن قلق المرشح الجمهوري للرئاسة في الولايات المتحدة في 25 تموز 2012. وفي التصريح الذي أطلقه «ميت رومني» في هذا التاريخ، انتقد أيضاً عطالة منافسه الديمقراطي غير المهتم برأيه بالمسألة التي تتعلق بالأمن الوطني في الولايات المتحدة. لكن «رومني» لم يكن الوحيد الذي كان قلقاً تجاه أهداف رئيس الدولة الإيرانية من زيارته وعلاقاته مع أمريكا اللاتينية. ففي طهران نفسها، تعالت الأصوات أيضاً، لنقد هذا التوجه الدبلوماسي.[43]

39 Elodie Brun, Les relations entre l'Amérique du Sud et le Moyen-Orient

40 Jean Jacques KOURLIANDSKY, L'Iran et l'Amérique latine: des convergences solides et circonstancielles Actuelle de l'Ifri, septembre 2012

41 Jean Jacques KOURLIANDSKY, L'Iran et l'Amérique latine: des convergences solides et circonstancielles Actuelle de l'Ifri, septembre 2012

42 http://republic1979.typepad.com/blog/2012/01/la-conf%C3%A9rence-de-presse-du-pr%C3%A9sident-ahmadi-nejad-avant-son-d%C3%A9part-pour-lam%C3%A9rique-latine-liran-et-les-pays-de-l.html

43 Jean Jacques KOURLIANDSKY, L'Iran et l'Amérique latine: des convergences solides et circonstancielles Actuelle de l'Ifri, septembre 2012

تعكس الوقائع، على الأقل تلك التي تتسم بطابع عام، مؤشراً دبلوماسياً متنامياً لا شك فيه بين إيران وعدد من الدول في أمريكا اللاتينية. فقد افتتحت عدة سفارات لطهران خلال السنوات الأخيرة: سفارة في لاباز في بوليفيا، وتضم عدداً كبيراً من الموظفين يصل إلى عدة عشرات من الأشخاص. بالمقابل، نقلت بوليفيا تمثيلها في الشرق الأوسط من القاهرة إلى طهران. وكان «محمود أحمدي نجاد» منذ تسلمه منصب الرئاسة في عام 2005 قد ضاعف من فرص لقاءات عدد من نظرائه اللأمريكيين اللاتينيين؛ فهو إضافة إلى زيارته إلى أمريكا اللاتينية، استقبل أيضاً في طهران عدة نظراء من جنوبي أمريكا: الرؤساء البوليفي والنيكاراغوي والفنزويلي، حيث كرر عدد منهم زيارته لطهران أكثر من مرة. وما نستطيع استنتاجه بالنسبة إلى عام 2012 هو حصول زيارات شبه منتظمة سنوية أو حتى مرتين في السنة بين رؤساء ووزراء من إيران ومن دول أمريكا اللاتينية.[44]

اتخذت هذه اللقاءات مع الزمن محتوى ملموساً وواضحاً أكثر فأكثر. فعلى الرغم من أن العلاقة الاقتصادية لا تزال متواضعة، لكن العديد من الاتفاقيات تم توقيعها، وهي تعطي مضموناً واضحاً لهذه العلاقات عبر القارية، والتي لا يلحظها دائماً الإعلام الغربي. في حزيران 2012، تضمنت الاتفاقات التي تم توقيعها بين إيران وبوليفيا بمناسبة الزيارة الثالثة لـ «محمود أحمدي نجاد» إلى لاباز أربعة استثمارات زراعية ـ غذائية وبناء مشفى.

مبادرات لاتينية

قامت دول من أمريكا اللاتينية ابتداء من عام 2000 بمبادرات دبلوماسية منفردة؛ ومن بين الأمثلة الأحدث على هذه المبادرات، يمكن أن نذكر الاتفاقيات التي تم توقيعها بين إيران وعدة دول من أمريكا اللاتينية، وخاصة مع بوليفيا وفنزويلا، وكذلك المبادرة التي قامت بها في عام 2010 كل من البرازيل وتركيا تجاه الأزمة النووية الإيرانية، والخطوات التي قامت بها البرازيل مع جنوب أفريقيا والهند لدى دمشق في عام 2011.[45]

تشكل هذه السياسة في دول أمريكا اللاتينية تحوّلاً كبيراً تجاه سياسات الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، وتعدّ مؤشراً مهمًّا على محاولة الخروج من إطار الهيمنة الأمريكية. إنها سياسة أكثر هجومية تجاه أمريكا، حيث لم يعد يلحظ فيها التبعية الاقتصادية والسياسية. ولهذا، فقد شكلت هذه السياسة بالذات فرصة لإيران، بل ولمنظمات مختلفة، للاستفادة من العداء المتنامي تجاه الولايات المتحدة في دول أمريكا اللاتينية. فسياسة هذه الدول في أمريكا اللاتينية، لم تكن تحاول فقط عبر مواقفها هذه زيادة مدى استقلاليتها تجاه جارتها العملاقة في الشمال، بل وسعت أيضاً لكسب مساحة خاصة بها في لعبة حكم الأمم، حيث تصبح لها كلمة مسموعة وأكثر فاعلية على الإشكاليات العالمية التي تؤثر عليها أيضاً، أكان فيما يتعلق بالمسائل التجارية أو بمعالجة الأزمات العالمية، أو بمسائل البيئة والمناخ

44 Jean Jacques KOURLIANDSKY, L'Iran et l'Amérique latine: des convergences solides et circonstancielles Actuelle de l'Ifri, septembre 2012

45 Rapport d'information, déposé *en application de l'article 145 du Règlement* par la commission des affaires étrangères *en conclusion des travaux d'une mission d'information constituée le 4 mars 2015* sur l'ouverture d'un dialogue culturel et politique avec l'Amérique latine, M. Patrice Martin-Lalande, président ; M. Michel Vauzelle, rapporteur ; MM. Kader Arif, Edouard Courtial, Michel Destot, Lionnel Luca, Noël Mamère.

والطاقة إلخ. ووفقاً لـ «جان جاك كورلياندسكي» (Jean-Jacques Kourliandsky) الذي قابلته البعثة الفرنسية التي أصدرت تقريراً إلى وزارة الخارجية الفرنسية، فإن التنافرات التي ظهرت بين عواصم أمريكا اللاتينية من جهة، وباريس وواشنطن ولندن من جهة أخرى، حول أزمات إيران وليبيا وسوريا منذ عام 2010 قد فاجأت العواصم الغربية، وهي تعكس «الاتجاه الذي تتخذه «قارة» جيوبوليتكية وثقافية كانت حتى ما قبل الأمس هامشية، وأصبحت بالأمس فقط لها مطالب، وهي تقوم اليوم بمبادرات مشاكسة، بل وانشقاقية عن النظام المفروض».[46]

بالمثل، فإن التوجه الذي رسمه «لوران فابيوس» للدبلوماسية الاقتصادية الفرنسية تجاه هذه الدول أدى على الأقل وفق التقرير المرفوع إلى وزارة الخارجية الفرنسية، إلى جعل العلاقات الفرنسية علاقات عادية مع دول أمريكا اللاتينية من حيث إعادة إدراجها على قاعدة أكثر تشاركية ومساواة (فلم تعد هذه الدول تعتبر كدول «نامية» في المنظور الفرنسي والأوروبي، على الأقل في توجهات السياسة المعلنة). غير أن الدبلوماسية الفرنسية لم تستخلص بشكل كامل النتائج الدبلوماسية لانبثاق هذه الدول. فلم تعد الدول الأوروبية تستطيع اعتبار هذه الدول إلا كشركاء اقتصاديين وتجاريين، وهذا ما أظهره على سبيل المثال إيقاف طيران شركة Evo Morales فوق الأراضي الأوروبية والفرنسية، خصوصاً خلال مسألة سنودن[47]؛ والمثال الآخر هو توقيع شراكة استراتيجية طموحة لفرنسا مع البرازيل في كانون الأول 2008، كانت تتوافق مع التوقعات والطموحات البرازيلية التي كانت تسعى إلى إيجاد شريك بديل عن الولايات المتحدة، لكن في أيار 2010 أدى التوافق البرازيلي التركي حول الملف النووي الإيراني، وهو ملف تديره خمس دول كبرى بينها فرنسا، إلى قطيعة دبلوماسية مع البرازيل.[48]

يستمر النظام الدولي الحالي في فرض هيمنته، لكن من جهة أخرى تضاف إلى مخططاته عوامل ضعف، بل وأزمات تضعف حتى قوى عظمى كانت تترأس النظام العالمي. وهكذا، نرى مثلاً أن الولايات المتحدة مع حفاظها على التزاماتها السياسية توجهت نحو آسيا بشكل كبير، [49] وفضلت التفاوض مع إيران وكوبا. أما الصين، فتولي الأولوية للمسائل الداخلية وللتغير الذي يتعلق بنموذجها في النمو[50]. أما أوروبا، فلم تعد تستطيع فرض نفسها

46 Rapport d'information, déposé *en application de l'article 145 du Règlement* par la commission des affaires étrangères *en conclusion des travaux d'une mission d'information constituée le 4 mars 2015* sur l'ouverture d'un dialogue culturel et politique avec l'Amérique latine, M. Patrice Martin-Lalande, président ; M. Michel Vauzelle, rapporteur ; MM. Kader Arif, Edouard Courtial, Michel Destot, Lionnel Luca, Noël Mamère.

47 http://www.reuters.com/article/us-usa-security-snowden/morales-back-in-bolivia-after-plane-drama-over-snowden-idUSBRE9610C520130704

48 Rapport d'information, déposé *en application de l'article 145 du Règlement* par la commission des affaires étrangères *en conclusion des travaux d'une mission d'information constituée le 4 mars 2015* sur l'ouverture d'un dialogue culturel et politique avec l'Amérique latine, M. Patrice Martin-Lalande, président ; M. Michel Vauzelle, rapporteur ; MM. Kader Arif, Edouard Courtial, Michel Destot, Lionnel Luca, Noël Mamère.

49 Jonathan D. Pollack & Jeffrey A. Bader, Return to the Asia Rebalance and the U.S.-China Relationship, brookings.edu, January 23, 2014

50 https://www.robert-schuman.eu/fr/questions-d-europe/0235-forces-et-faiblesses-de-la-chine

كعامل دبلوماسي له وزنه كما في السابق. إن هندسة الحكم العالمي لم يعد متوافقاً مع هذا العالم الذي لم يعد وحيد القطب.[51]

والحال أن أمريكا اللاتينية بالنسبة إلى أوروبا، وخاصة فرنسا، ليست مجرد «خزاناً صوتياً» في المحافل الدولية يتم اللجوء إليها للتصويت على هذه المسألة أو تلك وفق إرادة القوى العظمى؛ بل يجب أن تكون الحليف الطبيعي بين القوى الجديدة المنبثقة من أجل تحريك خطوط السيطرة في العالم. وبما أن فرنسا وعت، وإن متأخرة إرادة أمريكا اللاتينية في الانطلاق خارج حدودها في المشاركة الدولية، فإنها تسعى إلى توسيع مجلس الأمن في الأمم المتحدة ودخول البرازيل إليه كعضو دائم فيه، بل وإلى إدخال البرازيل إلى G8 الموسع مع المكسيك.

إن النمو الاقتصادي الذي حصل خلال العقد الأخير، والذي ترافق مع تراجع في مستوى الفقر والبطالة، وبدرجة أقل في اللامساواة في دول أمريكا اللاتينية، ترافق مع استقرار سياسي حقيقي، رغم الكثير من المشكلات الكامنة، وأن ثمة مساعٍ إلى وضع حلول لها. وهكذا، فقد دخلت القارة خلال السنوات الأخيرة في طريق السلام والازدهار والديمقراطية. وقد أعطاها نجاحها الداخلي مزيداً من القوة، مما جعلها تضاعف من مبادراتها الدبلوماسية لإسماع صوتها الخاص فيما يتعلق بالتحديات الكبيرة التي تواجه العالم ككل، ونتذكر هنا الرعب الذي أصاب العواصم الأوروبية بمواجهة مقترح الوساطة البرازيلية مع إيران، أو أيضاً رفض المكسيك، على الرغم من أنها حليف كبير لأمريكا الشمالية الموافقة على التدخل العسكري في العراق عام 2003. ونتذكر أيضاً هنا الديناميكية التي أظهرتها الدبلوماسية الأمريكية اللاتينية تجاه أفريقيا والشرق الأوسط.[52]

. أمريكا اللاتينية وإيران: العلاقات الدبلوماسية والتعاون الاقتصادي

في التقرير المقدم إلى لجنة الشؤون الخارجية والدفاع والقوات المسلحة الفرنسية[53] في عام 2015، نقرأ عن التعاون الإيراني مع القارة الأمريكية اللاتينية. ويشير التقرير إلى إمكانية أن تكون هذه العلاقات القائمة على المصالح

51 Rapport d'information, déposé *en application de l'article 145 du Règlement* par la commission des affaires étrangères *en conclusion des travaux d'une mission d'information constituée le 4 mars 2015* sur l'ouverture d'un dialogue culturel et politique avec l'Amérique latine, M. Patrice Martin-Lalande, président ; M. Michel Vauzelle, rapporteur ; MM. Kader Arif, Edouard Courtial, Michel Destot, Lionnel Luca, Noël Mamère.

52 RAPPORT D'INFORMATION, DÉPOSÉ *en application de l'article 145 du Règlement* PAR LA COMMISSION DES AFFAIRES ÉTRANGÈRES *en conclusion des travaux d'une mission d'information constituée le 4 mars 2015* sur l'ouverture d'un dialogue culturel et politique avec l'Amérique latine, M. Patrice Martin-Lalande, président ; M. Michel Vauzelle, rapporteur ; MM. Kader Arif, Edouard Courtial, Michel Destot, Lionnel Luca, Noël Mamère.

53 «L'Iran: le renouveau d'une puissance régionale ?» Rapport d'information nº 22 (2015-2016) de MM. Jacques Legendre, Daniel Reiner, Mme Michelle Demessine et Joel Guerriau, *fait au nom de la commission des affaires étrangères, de la défense et des forces armées*, déposé le 7 octobre 2015

والتعاون تخفي قبل كل شيء مؤشرات على تدخلات أعمق في القارة اللاتينية. وقد جاء في التقرير تحت فقرة رقم 3 بعنوان: «تعاون ربما يكون قبل كل شيء رمزياً في أمريكا اللاتينية»:

«ولكي ننهي الصورة العامة لتحالفات إيران من المناسب أن نشير إلى أن الجمهورية الإسلامية توصلت إلى عقد عدد من العلاقات الخاصة، والمميزة مع القارة الأمريكية الجنوبية وفي الكاريبي، على الرغم من البعد الجغرافي على الأقل، إذا لم نقل الثقافي والعقائدي. فالنظام في طهران يتقاسم في الواقع العداوة تجاه المصالح الأمريكية مع الدول المعنية»[54]. وقد حصلت إيران في عام 2007 على مركز المراقب في «الاتحاد البلوليفاري لشعوب أمريكتنا» (ALBA).

وهكذا، منذ بداية الثمانينيات، تقارب النظام الناشئ عن الثورة مع كوبا ونيكاراغوا، حيث منحتهما القروض المختلفة والمساعدات على النمو. وقد عقدت ووقعت عدة اتفاقيات تعاون مع نيكاراغوا في عهد الرئيس دانييل أورتيغا ابتداء من عام 2007 ومع بوليفيا أيضاً في عهد الرئيس «إيفو مورالیس» منذ عام 2006، وخاصة في المجال الاقتصادي. مع ذلك، فإن الدولة التي كانت الشريك الأقرب لإيران في أمريكا الجنوبية منذ عام 2000 هي فنزويلا. فقد عقد الرئيس «هوغو شافيز» مع إيران عدة اتفاقيات تعاون كبيرة، في مجالات الصناعة والزراعة والطاقة، وقد دعما بعضهما بعضاً على الساحة الدولية وأيدا وجهات نظر كل منهما السياسية في المحافل المتعددة الأطراف. وحتى البرازيل التي كان السلطات فيها تحافظ على مسافة دائماً من طهران، فلم تتردد في الدفاع عن حقوق طهران في الحصول على الطاقة النووية المدنية.

ومثل هذه العلاقات التي تثبتت وتعمقت مع الوقت، وحتى إذا لم نرد المبالغة في مداها الحقيقي إلى ما وراء بعدها الرمزي السياسي الذي يبدو في غالب الأحيان على أنه أول صدى للاتفاقات الثنائية التي عقدت، لا يجب اعتبارها على أنها مشاهد غريبة أو ممكنة في الحياة السياسية والدولية؛ فهي في النهاية انعكاس لحياة دبلوماسية تهدف إلى التقليل من عزلة إيران الدولية، وقد سمحت في الواقع لإيران بالوصول إلى دعم إضافي لمطالباتها وحقوقها، وفتحت المجال بلا شك المجال للنظام الإيراني بالتوسع في مساحات كان يسعى إلى الوصول إليها.

مع ذلك، إذا كانت وعود تطبيع الحياة الدولية الإيرانية المتضمنة في اتفاقية فيينا في 14 تموز الماضي بدأت تتحقق فعلاً، فإنه ليس من المؤكد أن طهران ستوقف بشكل دائم جهودها الدبلوماسية في هذه المنطقة من العالم.[55]

54 TAKEYH, RAY, *Guardians of the Revolution: Iran and the World in the Age of the Ayatollahs*, Oxford University Press, 2009, p. 191

55 راجع التقرير المقدم إلى لجنة الشؤون الخارجية والدفاع والقوات المسلحة الفرنسية في عام 2015:

«L'Iran: le renouveau d'une puissance régionale ?» Rapport d'information n° 22 (2015-2016) de MM. Jacques Legendre, Daniel Reiner, Mme Michelle Demessine et Joel Guerriau, *fait au nom de la commission des affaires étrangères, de la défense et des forces armées*, déposé le 7 octobre 2015

التواجد الإيراني في أمريكا اللاتينية

تاريخ التواجد الإيراني في دول أمريكا اللاتينية

في نوع من الانتقاد الساخر، قالت صحيفة ميامي هيرالد «Miami Herald» إن الرئيس «محمود أحمدي نجاد» لا شك يحب الأجواء المدارية؛ فقد أمضى في أمريكا اللاتينية أكثر بكثير، مما أمضى الرئيس «بوش» الابن[56]. ومنذ تسلمه للرئاسة في عام 2005، عملت السياسة الخارجية الإيرانية على مد نفوذها من إفريقيا باتجاه أمريكا اللاتينية.[57]

وعلى الرغم من كافة التأكيدات التي باتت تنشر في الصحافة خلال السنوات الأخيرة عن اهتمام إيران المتزايد بأمريكا اللاتينية كمنطقة، فإنها كانت تقيم بعض العلاقات الثنائية القديمة نسبياً مع عدة بلدان منها. فلإيران علاقات إيديولوجية مع كوبا منذ نهاية حرب إيران ـ العراق، وعلاقات مع فنزويلا تعود إلى تأسيسها مع هذا البلد لمنظمة البلدان المصدرة للنفط (Opep)) في الستينيات من القرن الماضي.[58] ومن نتائج هذه السياسة للعلاقات الثنائية القديمة لإيران هو عدم اصطفافها في السياسة الخارجية واستقلالها السياسي بعد الثورة الإسلامية، الأمر الذي جعل الولايات المتحدة تريد عزل إيران على المستويين الدبلوماسي والاقتصادي. وقد سمح انتخاب رئيس إيراني إصلاحي لبلدان مثل البرازيل أن تعطي لإيران التأمين الضروري لمقاومة الضغوط التي مارستها الولايات المتحدة. وقد أدى الانتقال إلى التوجه اليساري في عدة بلدان من أمريكا اللاتينية منذ بداية 2000 إلى نجاح استراتيجية إيران في تحسين علاقاتها مع عدة عواصم في المنطقة. ومن وجهة «أحمدي نجاد» «بدلاً من الخضوع بشكل سلبي لإرادة أمريكا في عزل إيران على المستويين السياسي والاقتصادي، حيث تسيطر على الشرق الأوسط، من الأفضل الدخول بقوة إلى الباحة الخلفية للولايات المتحدة، وكسر طوق العزلة الممارسة عليها وتسجيل نقاط عليها على الأقل».[59]

لكن ما الذي كان يبحث عنه «أحمدي نجاد» في أمريكا اللاتينية؟ لا شك أنه كان يبحث عن دعم مقابل الضغوط الممارسة من الولايات المتحدة وأوروبا على بلده لمنعها من تطوير التقنية النووية. وكانت فنزويلا وكوبا البلدان الوحيدان إلى جانب سورية الذين صوتوا لصالح إيران في شباط 2006 في الوكالة الدولية للطاقة الذرية[60]. فما يريده «أحمدي نجاد» هو ردّ الصاع للولايات المتحدة في نطاقها الحيوي الخاص بها، عبر تشكيل تحالفات مع الحكومات في هذه المنطقة، وتشجيع توجهها للاستقلال عن إرادة أمريكا الشمالية، إضافة إلى دعم التواجد الإيراني

56 *The Miami Herald*, 30 septembre 2007

57 « Paraguay's Persian Presence: Iran's New Friend in Latin America », *Council on Hemispheric Affairs website*, 21 aout 2008, <www.coha.org/2008/08/paraguay %E2 %80 %99s-persian-presence-iran %E2 %80 %99s-new-friend-in-latin- america>.

58 Farideh Farhi, « Iran in Latin America: Threat or Axis of Annoyance ? », *avant-projet, Conference Iran in Latin America: Threat or Axis of Annoyance*, Woodrow Wilson International Center for Scholars, Washington, D.C., 10 juillet 2008

59 المرجع السابق نفسه

60 « The Oppenheimer Report. Beware Iran in Latin America », *The Miami Herald*, 30 septembre 2007.

المستدام في المنطقة لأهميتها الاستراتيجية المستقبلية في لعبة العلاقات الدولية المستقبلية. وهكذا، فقد قام بعدة جولات في أمريكا اللاتينية محاولا عقد تحالفات مع دول ثورية: فنزويلا في تموز 2006 وفنزويلا ونيكاراغوا والإكوادور في كانون الثاني 2007، وفنزويلا وبوليفيا في أيلول 2007، والبرازيل ومن جديد فنزويلا وبوليفيا في تشرين الثاني 2009. بالمقابل، فقد استقبل «أحمدي نجاد» الرئيس الفنزويلي «شافيز» تسع مرات، وكذلك استقبل رئيس نكاراغوا «أورتيغا»، ورئيس بوليفيا «مورالیس» ورئيس الإكوادور «كوريرا» والرئيس السابق البرازيلي «لولا دي سيلفا». فحجر الزاوية في سياسة طهران في أمريكا اللاتينية، يرتكز على تشكيل محور مع فنزويلا ضد أمريكا. وخلال زيارة «شافيز» عام 2006 صرح أمام جمهور في جامعة طهران: «نحن نسعى لإنقاذ الإنسانية ولوضع حد للإمبراطورية الأمريكية». وبعد سنة، أعلن «أحمدي وشافيز» معاً عن «محور الوحدة» ضد الولايات المتحدة[61]. ويرى الضابط «كافون حكيم زاده» المستشار الخاص في مكتب واشنطن للإدارة الجنوبية *USSouthCom*)) أن العلاقة بين إيران وفنزويلا ناجمة «عن تلاقي عوامل جيوسياسية فريدة». فالبلدان يبحثان عن حليف ممكن لتجنب العزلة[62]. ويعمل الرئيسان الإيراني والفنزويلي كذلك، على تحريض دول أخرى من أمريكا اللاتينية لمواجهة الولايات المتحدة اعتمادا على استخدام عائداتهما من البترودولار.[63]

التواجد المتنامي في أمريكا اللاتينية

خلال المؤتمر الدولي حول أمريكا اللاتينية في طهران في شباط 2007، أعلن الوزير الإيراني للشؤون الخارجية «مهدي مصطفوي» عن افتتاح سفارات جديدة لشيلي وكولومبيا والإكوادور ونيكاراغوا والأوروغواي ومفوضية لبوليفيا[64]. وكانت دول أخرى من أمريكا اللاتينية في طريقها لافتتاح سفارات لها في إيران.[65]

وفي الواقع كان دخول إيران السياسي والاقتصادي إلى القارة الأمريكية الجنوبية خلال سنوات ثلاث سريعا ومدهشا، ومحرضا للكثير من الأسئلة. لكن بالمقابل، كان هذا الدخول كاشفاً بشكل كبير لتحولات في السياسات والعلاقات الدولية ومنبئاً عن تشكل محاور جديدة يمكن أن تتبلور عبر مصالح اقتصادية وسياسية خلال السنوات القادمة. ونعرض فيما يلي باختصار العلاقات الثنائية لإيران مع دول أمريكا الجنوبية.

61 Parisa Hafezi, « Iran, Venezuela in "Axis of Unity" », *Reuters*, 2 juillet 2007

62 Kavon Hakimzadeh, « Iran & Venezuela. The Axis of Annoyance », *Military Review*, no 89, mai-juin 2009, p. 78-84

63 Michael Rubin, « Iran's Global Ambition », *AEI Online*, 17 mars 2008

<www.aei.org/publications/pubID.27658/pub_detail.asp>.

64 Ely Karmon, « Amérique Latine, défi de l'Iran aux États-Unis dans leur arrière- cour », *Outre-Terre* 2011/2 (n° 28), p. 531-555

65 « Iran to Reopen Embassies in Latin America », *Irna*, 27 fevrier 2007

***- فنزويلا**

كانت «لشافيز» مواقف مهمة في إطار تحول الاتجاهات في أمريكا اللاتينية ككل؛ فبعد أن بدأ يستثمر في مجال التنمية العسكرية، مع اعتباره لإمكانية تدخل الولايات المتحدة عسكرياً لإيقاف هذا التطور المجاور لها؛ فقد بدأ ينتبه إلى أهمية عقد علاقات قوية مع دول تسعى مثله للخروج عن السيطرة الأمريكية. وقد اتهمت واشنطن بالمقابل «شافيز» بأنه يدعم ثورات يسارية كما على سبيل المثال، دعمه للحركات الثورية الكولومبية ناهيك عن علاقاته مع كاسترو. وبعد التهديدات الأمريكية التي كانت قد تلاحقت بعد الحرب على العراق، بدأ شافيز في الوقت نفسه مع إيران يدرك أهمية الثبات على موقف واضح تجاه واشنطن، وهذا ما فعله، عندما وجه تحذيرا لإدارة بوش أن أيّ تدخل أمريكي عسكري في فنزويلا، سيؤدي إلى إيقاف تصدير النفط باتجاهها، وسينعكس على ارتفاع مباشر في سعر برميل النفط.[66]

وقد اتجه «شافيز» بعدها إلى عقد اتفاقات مع روسيا والبرازيل وإسبانيا، للحصول على التجهيزات العسكرية اللازمة لفنزويلا في مجال الطيران والبحرية، كما اشترى (100000) بندقية هجومية. ونظم بعد ذلك قوى الدفاع المدني، حيث يتم تعليم أكثر من مليوني فنزويلي مهنا تتعلق بالأسلحة، وكذلك بحب الوطن! وقد حاول شافيز أيضاً مثل إيران لعب لعبة النووي. ففي عام 2005 اقترح أن تمتلك فنزويلا محطة مركزية نووية في الأرجنتين التي باعت التقنية النووية إلى مصر وأستراليا والجزائر والبيرو. وفي هذه المرحلة، بدأ «شافيز» يتحدث عن التعاون مع إيران في تنمية إمكانية قوة نووية.

ومع انفتاحه الدبلوماسي على إيران وندائه بعالم «متعدد الأقطاب»، بدأ «شافيز» يثير غضب واشنطن. وقد ضاعف من ذلك العلاقات الفنزويلية مع الصين وروسيا والهند وإيران، مما أيقظ المخاوف الأمريكية المتعلقة بتأثير أجنبي يمكن أن يجتاح النصف الجنوبي المجاور والملاصق لها، ما قد يؤدي إلى إمكانية تدخلات متعددة الأشكال باتجاهها.[67]

اعتمد «هوغو شافيز» و«أحمدي نجاد» كلاهما خطاباً يرتكز على الحكم الذاتي والاستقلال بالنسبة إلى القوى الغربية الكبرى ـ الولايات المتحدة وأوروبا ـ موحدين قواهما في الحرب المزعومة ضد الإمبريالية والرأسمالية. فـ «شافيز» صرح في طهران: «نحن بلدان أخوان، متحدان مثل القبضة»؛ فإيران برأيه هي مثال «للمقاومين والوطنيين والثوريين والمؤمنين الحقيقيين»[68]. وكذلك «أحمدي نجاد» الذي صرح بـ: «إننا بلدان قويّان؛ إيران قوة، وفنزويلا تصبح كذلك. ونحن نريد عالماً ثنائي القطب. لا نريد عالماً فيه قوة وحيدة هي الولايات المتحدة. ... وعلى الرغم من

66 Hall Gardner, Revolution dans l'arrière-cour d'Amérique: vision bolivarienne du Venezuela, 2006.

67 المرجع السابق

68 Elodie Brun, « La place de l'Iran dans la politique etrangere du Venezuela », avant-projet, *Conference Iran in Latin America, op. cit.*

غطرسة الولايات المتحدة على مستوى العالم، فنحن، أي إيران وفنزويلا، نجابه ذلك إلى جانب البلدان والأمم المظلومة والمنهوبة».[69]

ويشير بعض المراقبين إلى أن تأثير الولايات المتحدة ضعف في أمريكا الجنوبية خاصة مع جذب «شافيز» كقوة صاعدة لحلفاء مثل بوليفيا والإكوادور ونيكاراغوا، وبتقديمه لأحمدي نجاد مدخلاً إلى أمريكا اللاتينية، بعد أن وعد هذا الأخير بتوحيد الخليج «الفارسي» مع الكاريبي، وإعطائه صفة المراقب في التحالف البوليفاري *Alba*))[70].

أصبحت إيران ثاني مستثمر في فنزويلا بعد الولايات المتحدة. ووفق المعطيات الصادرة عن المفوضية الأوروبية، فإن فنزويلا هي سادس شريك لإيران في أمريكا اللاتينية من حيث حجم التبادلات، حيث يصل الرقم إلى نحو 50 مليون دولار. وكان صندوق فنزويلا ـ إيران قد راكم نحو (200) مليون دولار من السيولة عام 2009، وكان سيتلقى وفق وزير المالية الفنزويلي «علي رودريغز» (200) مليون أخرى لتمويل مشاريع مشتركة مع نهاية العام نفسه[71]. وهكذا، فقد نزلت إلى شوارع فنزويلا أول دفعة من السيارات «المضادة للإمبريالية» المنتجة بشكل مشترك بين البلدين، وكانت الحصة الأولى منها من نصيب ضباط في الجيش. أما الـ (4000) جرار المنتجة سنوياً في سويداد بوليفار، فلها قيمة رمزية كمؤشرات على «تغير ثوري». أما المؤشر الآخر، فيتمثل في تعليم الفارسية في الجامعات الفنزويلية[72]. وقد ساهمت إيران في بناء منصات لمشروع استثمار بقيمة 4 مليارات دولار في الدلتا البترولية مقابل تبادل في الاستثمارات الفنزويلية. ونجد شركة إيرانية تبني آلاف الوحدات السكنية للفقراء في فنزويلا، وقد ترافق هذا المشروع بدخول أكثر من 400 مهندس ومختص إيراني إلى فنزويلا، حيث تعلم عدد من هؤلاء اللغة الإسبانية[73]. لقد قدمت فنزويلا بعلاقاتها المتنوعة هذه مع إيران فرصة لإيران، لتتدارك العقوبات التي فرضتها الأمم المتحدة والولايات المتحدة على طهران بسبب برنامجها النووي. فعبر فنزويلا، أصبح بإمكان إيران جني الأموال والتحرك اقتصاديا، والحصول على المواد عالية التقنية والتواصل مع النظام المالي العالمي.[74]

كانت فنزويلا هي باب الدخول لإيران إلى المنطقة. ومنذ توقيع الاتفاقيات بين البلدين، أصبح طيران أسبوعي بينهما (كاراكاس ـ طهران) عبر دمشق[75]. من جهة أخرى، أعلن التلفزيون الإيراني *Press TV*، وهو الشبكة الإيرانية الأولى في نقل المعلومات دولياً أن البلدين سيعمقان تعاونهما في المجال الدفاعي، وأكد العميد «مصطفى محمد نجار» أن طهران ستقدم الدعم العسكري لوسائل الدفاع في كاراكاس في إطار الاتفاقيات المتبادلة. وقد وقع الفريقان فعلا مذكرة تفاهم حول التعاون العسكري الذي يتضمن التدريب وتبادل الخبرات. ووفق نائب الرئيس الفنزويلي،

69 *Al Jazeera English*, 20 novembre 2007

70 Daniel P. Erikson, « Ahmadinejad Finds it Warmer in Latin America », *Los Angeles Times*, 3 octobre 2007

71 « Caracas y Teheran refuerzan alianzas », *El Informador* (Mexico), 26 novembre 2009

72 *Fars News Agency* (Teheran), 26 juillet 2007

73 Ian James, « Iran Raises Profile in Latin America », *Associated Press*, 27 novembre 2008

74 Ian James, « Iran Raises Profile in Latin America », *Associated Press*, 27 novembre 2008

75 *Fars News Agency*, 16 juillet 2007

«رامون كاريزالز»، فإن «فنزويلا تسعى إلى زيادة وتدعيم صلاتها الدفاعية مع إيران، حتى وإن كانت الولايات المتحدة قد عبرت في عدة مناسبات عن معارضتها أن تضع إيران قدمها في باحتها الخلفية» كما كشف التلفزيون الإيراني[76]. وإن كنا لا نستطيع تأكيد ما أوردته عدة صحف من أن مستشارين عسكريين إيرانيين قد دمجوا في آب من عام 2009 في الجيش الفنزويلي[77]، لكن ثمة مؤشرات قد تدعم ذلك؛ فمع الزيارة التي قام بها «نجاد» في تشرين الثاني 2009 إلى فنزويلا استقبل استقبالا رسمياً، وأديت له التحية العسكرية. ووقع البلدان 12 اتفاقية تعاون حول الكهرباء والسكن والزراعة والسياحة. وبدءا من تشرين الأول 2009، كانت فنزويلا قد بدأت تصدر إلى إيران (20000) برميل من النفط المكرر في اليوم بسعر (200) مليون دولار.[78]

كان التعاون في المجال النووي هو أحد الجوانب الأكثر إقلاقاً في التحالف الفنزويلي الإيراني بالنسبة إلى الغرب والولايات المتحدة. في 13 تشرين الثاني 2008، صاغت الدولتان هذا التعاون في إطار مذكرة تفاهم. ووفق «روجر نوريغا»[79]، فإن فنزويلا ستقدم اليورانيوم لإيران، وهو يؤكد أن السلطات البريطانية واجهت شافيز بهذه التقارير، وحذرته من نتائج مثل هذا السلوك غير المسؤول[80]. وعند عودة السفير الفنزويلي في أول زيارة له إلى كالفيورنيا، بعد أن طرد من الولايات المتحدة لمدة سنة كانت صاخبة، دافع «برناردو ألفاريز» عن حق بلده في البحث عن النووي، وأن هذا البحث لم يكن يتم بشكل سري أو تحيط به أيّ تحفظات: «لدينا كمية كبيرة من النفط، لكن علينا أن نبدأ التفكير بما بعد النفط؛ واليورانيوم هو أحد المكامن التي يجب استكشافها». أما بالنسبة إلى التصريحات التي أدلى بها وزير الطاقة والثروات الباطنية فيما يخص مساعدة إيران في استكشاف واستثمار اليورانيوم، «فإن الشيء الوحيد الذي قمنا به هو نفسه ما قمنا به مع الروس»، في إشارة إلى الاتفاقية التي وقعت عام 2009: فقد التزمت روسيا بمساعدة فنزويلا في بناء مركز نووي[81]. وكان «شافيز» قد صرح في لقاء مع صحيفة «الفيغارو» أنه بعد توقيع اتفاقية جديدة مع طهران «حليفته وصديقته»، فقد قبلت هذه الصديقة أن تنقل تكنولوجيا نووية إلى فنزويلا. وكانت المراحل الأولية قد وضعت الفنزويليين في عملية تنفيذ وإنشاء قرية نووية بمساعدة الإيرانيين. وكانت تلك فرصة استغلها الرئيس الفنزويلي ليؤكد «حق إيران في الطاقة النووية»[82]. وخلال زيارة تاسعة إلى طهران، أكد «شافيز» و«أحمدي

76 « Iran, Venezuela Enter into Military Alliance », *Press TV*, 30 avril 2009

77 Robert Morgenthau, « The Emerging Axis of Iran and Venezuela », *The Wall Street Journal*, 8 septembre 2009. L'auteur est procureur de la republique a la retraite (Manhattan).

78 Fernando Sanchez, « Ahmadinejad ends South American visit with strong support from Morales and Chavez »,

Mercatrade.com, 27 novembre 2009, <www.mercatrade.com/blog/ahmadinejad-ends-south-american-visit-with-strongsupport-from-morales-and-chavez-en-us>.

79 هو المساعد الإداري في نصف الكرة الغربي ex-assistant secretary of State .

80 Roger F. Noriega, « Hugo Chavez's Criminal Nuclear Network: A Grave and Growing Threat », *AEI Outlook Series*, octobre 2009.

81 Matt O'Brien, « Venezuelan ambassador defends his country's relationship with Iran », *Contra Costa Times* (Californie), 7 octobre 2009, <www.allbusiness.com/legal/legal-services-litigation/13154191-1.html>.

82 « Venezuela to acquire nuclear know-how from Iran », *Iranian Press TV*, 9 septembre 2009, <www.presstv.ir/detail. aspx ?id=105732&sectionid=351020704>.

نجاد» أن التعاون بين البلدين كان «أساسياً لمواجهة الإمبريالية»، ووصف الأول التحالف بين البلدين بالاستراتيجي متنبئا «بنهاية قريبة من الإمبريالية».[83]

وفي عام 2010، نشرت صحيفة «*Die Welt*» وثيقة معلوماتية حاسمة: فإيران وفق هذه الوثيقة تملك مشروع قاعدة صواريخ في فنزويلا. وقد تم وضع اللمسات الأخيرة على الاتفاق خلال زيارة «شافيز» إلى إيران في تشرين الأول 2010، وقد توافق مع توصية المرشد الأعلى علي خامنئي التي أدلى بها قبل بضعة أشهر: وهي زيادة قدرة الردع الإيرانية في مواجهة الغرب، وخاصة في الباحة الخلفية للولايات المتحدة. ووفق هذا الاتفاق، سيتم نشر صواريخ شهاب 3 (مداها 1300 إلى 1500 كلم) وصواريخ سكود ب (285 ـ 330 كلم) وسكود س (300-500 و700 كلم)، إضافة إلى أربع قاذفات صواريخ متحركة؛ وذلك في القاعدة الجديدة التي يتم بناؤها، «مع تأمين التشغيل العملياتي الإيراني والفنزويلي، كما عمل حراس الثورة الإيرانية في الموقع». وهكذا يصبح لإيران «في حال الطوارئ» سلطة إطلاق الصواريخ ابتداء من القاذفات المتحركة، في حين يحق لفنزويلا استخدامها «تبعاً لحاجاتها الوطنية». وصرح الفريقان في ذلك الوقت، أنهما يأملان تحقيق هذا الاتفاق حتى نهاية عام 2011[84]. ومن المهم أن نلاحظ هنا، أن شركة الطيران كوفياسا التي كانت تؤمن النقل الجوي بين كراكاس ودمشق وطهران أوقفت فجأة رحلاتها الجوية الأسبوعية، بعد أن تم اتهامها بنقل «عملاء وجواسيس وإرهابيين ومواد قاتلة وعسكرية». وتشير المذكرات الاستخبارية أن هذا النقل كان يرتبط ارتباطا وثيقا ببرنامج إيران النووي، رغم أن كافة المراجع التي ذكرت هذه المعلومة لم تقدم مرجعية واضحة. وفي إشارة إلى ذلك قالت إحدى صفحات المواقع على النت التابعة لهذه الشركة أن الرحلات كانت تنقل «مواد مشعة». وقد تم حذف هذه الصفحة مباشرة بعد الإعلان عن هذا التصريح[85]. ومع ذلك، فإن مثل هذه الدلائل لا يؤخذ بها كمرجع معتمد.

التصريحات المفاجئة لـ «كاسترو»

انتقد «فيديل كاسترو» الرئيس «أحمدي نجاد»، في مقابلة نقلت عبر وسائل الإعلام مع الصحفي الأمريكي المعروف جفري غولدبرغ؛ وذلك فيما يتعلق بنفيه للمحرقة. وبرأيه، فإن الحكومة الإيرانية تخدم بشكل أفضل السلام باعترافها «بالسمة التاريخية الفريدة» لمعاداة السامية «اللاهوتية»، وفي محاولة فهم لماذا يخاف الإسرائيليون على وجودهم. فعلى الحكومة الإيرانية أن تفهم نتائج معاداة السامية: «لا أعتقد أن أية أمة اضطهدت بقدر اضطهاد اليهود. وبرأيي، فقد اضطهدوا أكثر بكثير من المسلمين؛ لأن قضيتهم كانت شاملة، وتمسّ كافة تفاصيل حياتهم، وأيضا

83 « En novena visita a Iran, Chavez fortalece «alianza estrategica» », *AFP*, 21 octobre 2010.

84 C. Wergin, H. Stausberg, « Iran plant Bau einer Raketenstellung in Venezuela », *Die Welt*, 25 novembre 2010, <www.elt.de/politik/ausland/article11219574/Iran-plant-Bau-einer-Raketenstellung-in-Venezuela.html>.

85 Ed Barnes, « Venezuela Cancels Round-Trip «Terror Flight» to Syria and Iran », *FoxNews.com*, 14 septembre 2010

من دون أي سبب معين، بينما لا أحد يضطهد المسلمين دون سبب».[86] ووفق بعض المراقبين، يمكن لمثل هذا التصريح أن يؤدي إلى شرخ بين حليفين تقليديين، كانا يتفاهمان أيضا كصديقين وهما «كاسترو» و«شافيز». لكن «شافيز» كان خلال الأيام السابقة لتصريح «كاسترو» قد تعرض لحملة انتقادات متزايدة من نخب المجتمع اليهودي في البلد بسبب معاداة السامية الصادرة عن شخصه، وعن بعض أعضاء حزبه الاشتراكي الفنزويلي PSUV، إضافة إلى أعمال العنف التي طالت كنيس يهودي وهجوم صغير على مركز مجتمعي عام 2009. ولهذا، وجد «شافيز» أنه من المهم إرسال «رسالة صداقة واحترام إلى اليهود»، وأنه مستعد للقاء القادة اليهود في اليوم التالي لتصريح «كاسترو»[87].

***- بوليفيا**

بوليفيا دولة فقيرة، لكنها ذات مكانة استراتيجية، ويمكنها لعب دور محفز في تطور التعاون الإيراني مع حكومات أخرى يسارية وشعبية في أمريكا اللاتينية. في 27 أيلول 2007، تم استقبال «أحمدي نجاد» في لاباز، ليقابل للمرة الأولى الرئيس «إيفو مورالیس»، ويوقع معه برنامج تعاون، حيث قدمت إيران مبلغاً ضخماً من المال لتطوير قطاعها النفطي والغازي[88]. في آب 2008، أنشأت الحكومة البوليفية بمساعدة إيران وفنزويلا الشركة العامة البوليفية *Cementos de Bolivia* برأسمال مساهم 230 مليون دولار، لإنشاء مصنعين في مقاطعتي بوتوسي وأوروروا، في الوقت الذي قدم فيه نائب الرئيس الإيراني دعمه للرئيس «إيفو مورالیس»، ودفع باتجاه اتفاقات اقتصادية. وقررت إيران فتح عيادتين وأرسلت فرقا طبية لتأهيل الأطباء البوليفيين[89]. وقدم التلفزيون الإيراني برامج باللغة الإسبانية لتلفزيون بوليفيا، مقدما بذلك منفذا إلى المعلومات والبرامج الوثائقية الآتية من الجمهورية الإسلامية إلى الجمهور البوليفي. في أيلول 2008، كان دور «مورالیس» أن يزور طهران، حيث أعلن الرئيسان في تصريح مشترك احتجاجهما على ظلم مجلس الأمن تجاه البرنامج النووي الإيراني دون مبررات قانونية أو قضائية أو تقنية. وعند عودة «مورالیس» إلى بوليفيا، أعلن أنه سينقل السفارة البوليفية الوحيدة في الشرق الأوسط من مصر إلى إيران، محددا بذلك بوضوح أولوياته. وخلال زيارة ثانية إلى بوليفيا في تشرين الثاني 2009 وقّع «أحمدي نجاد» اتفاقية تعاون في إطار مشاريع التصنيع في صحراء سالار ده يويني، وهي صحراء ملحية تشتمل على مخزون كبير من الليثيوم يعد الأهم في العالم. ويؤكد منتقدو «مورالیس» أن إيران تبحث في هذه الصحراء عن اليورانيوم من أجل برنامجها النووي. وفي كل الأحوال، فقد وقع البلدان مذكرة تفاهم حول حق إيران في متابعة أبحاثها في هذا المجال.[90]

86 Jeffrey Goldberg, « Castro: «No One Has Been Slandered More Than The Jews» », *The Atlantic*, 7 septembre 2010

87 Geoff LeGrand, Alexandra Reed, « Does Castro's Change of Heart Signal a Change in Pace in U.S.-Cuba Relations ? », *The Cutting Edge News*, 27 septembre 2010

88 Kaveh L. Afrasiabi, « Iran and the Left in Latin America », *Asia Times Online*, 4 septembre 2008

89 *World War 4 Report Web site*, 3 octobre 2008

90 Fernando Sanchez, « Ahmadinejad Ends South American Visit », *op. cit.*

***- نيكاراغوا**

تتبع السياسة الخارجية في هذا البلد بشكل وثيق سياسة فنزويلا الخارجية. ولذلك، فإن علاقاتها مع إيران كانت تتم عبر كاراكاس. ويرى الرئيس أورتيغا نفسه كرئيس ثوري يدعم اشتراكية القرن الحادي والعشرين التي ينادي بها «شافيز»[91]. وقد وعدت إيران بتقديم مليار دولار من المساعدات والاستثمارات لتنمية قطاعات الطاقة والزراعة والبنية التحتية ومعالجة المياه. وأهم المشاريع هو مشروع مرفأ في المياه العميقة على السواحل الشرقية للبلد، بقيمة استثمارية تصل إلى 350 مليون دولار. في عام 2007، تلقت نيكاراغوا من إيران ديناً بقيمة 231 مليون دولار لبناء سد لتوليد الطاقة الكهربائية. وفي آب من عام 2008 دعم «أحمدي نجاد» العلاقات مع هذا البلد بتقديم هبة من مليوني دولار لبناء مشفى. وقد طور الإيرانيون التعاون الإعلامي مع نيكاراغوا أيضاً[92]. ومع أن المشاريع التي كانت جارية منذ عام 2008 كانت تعطي للعلاقات الاقتصادية مظهرا متماسكا وقويا، فإن تعميق هذه العلاقات على المستوى السياسي والعقائدي المعادي لأمريكا كان واضحاً[93]، لكنه كان مطبوعاً بمحاولة نيكاراغوا طمأنة قلق الولايات المتحدة فيما يخص الطموحات النووية الإيرانية، وقد دعم الرئيس أورتيغا علناً حق إيران في «طاقة نووية سلمية»[94].

***- الإكوادور**

كانت العلاقات قبل عام 2007 في حدها الأدنى، ولم تكن ثمة علاقات دبلوماسية أو تجارية بين إيران والإكوادور. ولم تصدر الإكوادور شيئا باتجاه إيران في الأعوام 2000 و2006 و2007، وصدرت ما قيمته 2.5 مليون دولار عام 2003، وتعد سنة الذروة في هذا المجال. وبدأت العلاقات تختلف وتتحسن مع ظهور «أحمدي نجاد» الذي ترافق مع وصول «رافائيل كوريا» إلى السلطة في كانون الثاني 2007. ووفق بعض المراقبين، يبدو أن العلاقات التجارية لم تتحسن أو تكاد. وبشكل عام، فإن العلاقات الإيرانية الإكوادورية يبدو أنها أسست وفقا لعلاقة كيتو مع كاراكاس. وببساطة، مع تراجع التأثير الفنزويلي في الإكوادور، تراجعت أيضاً العلاقة مع إيران[95]. لكن الوقائع التي تتالت سرعان ما عارضت هذا التحليل. فمنذ صيف 2008، فتح البلدان مكاتب تجارية (كان المكتب الوحيد الذي فتحه كوريا منذ انتخابه) في عاصمتي البلدين. وفي أيلول من عام 2008، وقعت طهران وكيتو اتفاقية تعاون في الطاقة تتضمن إقامة محطة تصفية ومصنعاً بتروكيميائيا في جنوب الإكوادور[96]. وزار الرئيس «كوريا» طهران في تشرين الثاني 2008، ووقع (25) اتفاقية ثنائية في مختلف القطاعات، بما فيها الصناعة النفطية. وفي كانون الأول 2008، وقع البلدان اتفاقية

91 Felix Maradiaga, Javier Melendez, « Relaciones bilaterales Iran-Nicaragua a un anno del Gobierno Sandinista: Retorica o Politica Exterior Anti-Sistema ? », avant-projet de communication, *Conference Iran in Latin América, op. cit.*

92 *Tehran Times*, 18 decembre 2007.

93 Maradiaga, Melendez, « Relaciones bilaterales Iran-Nicaragua », *op. cit.*

94 Ian James, « Iran Raises Profile », *op. cit.*

95 Cesar Montufar, « El reciente acercamiento diplomatico entre Ecuador e Iran. Gesto de afirmacion soberana o tibio alineamiento geopolitico ? », avant-projet pour la *Conference Iran in Latin America », op. cit.*

96 « Iran and Ecuador Vow Closer Ties », *Reuters*, 6 decembre 2008

تعاون في مجال الطاقة: وكانت تنص على مساهمة إيران في مشاريع توليد الطاقة الكهربائية من المياه، وطلباً لتقديم المعونات في مجال بناء السد الكبير كوكا ـ كودو ـ سنكلير.

في 13 شباط 2009، فتحت إيران سفارة مهمة في كيتو، وترافق ذلك مع الذكرى الثلاثين للثورة الإسلامية.[97]

***- جزر الكاريبي**

زار رئيس وزراء سانت فينسان وجزر الغرونادين، «رالف غونزالفس»، إيران في نيسان من عام 2009، وأعلن أن كنغستاون قررت رفع سقف علاقاتها مع إيران. ودعا إيران لمقاسمتها معارفها في مجال بناء السدود والبنى التحتية الطرقية والمطارات، وكذلك التكنولوجيا الحديثة[98]. وقد زار الوزير السابق للشؤون الخارجية الإيرانية «مانوشهر متقي» البلد في كانون الثاني من عام 2010، وأعلن أن بلده مستعد لاتخاذ الإجراءات الواسعة لبدء تعاون مع الدول الكاريبية[99]. وفي زيارته الأولى إلى إيران، وكانت سابقة من نوعها، في شهر كانون الثاني 2010، رافق رئيس غويانا، «بهارات جاغديو»، عدة وزراء ورئيس المركز الإسلامي في غوايانا (Ciog)، «الحاج فاض فيروز». ووقع البلدان مذكرتي تفاهم حول التسهيلات الخدمية القنصلية وإصدار الفيزا، وكذلك مساهمة إيران في التنمية، حيث قدمت إيران لغويانا خبرة في قطاعات المناجم والزراعة[100]. قابل «جاغديو» أيضاً المرشد الأعلى، «علي خامنئي»، الذي أشار إلى الدور الذي تلعبه منظمة التعاون الإسلامي التي كانت قد مهدت الطريق لتوسع التعاون بين البلدين. وقد حيّى الرئيس «جاغديو» الوجود الديناميكي الإيراني في أمريكا اللاتينية كما في الكاريبي، مؤكدا استقلال سياسة بلده الخارجية، رغم قربها الجغرافي من الولايات المتحدة.[101]

***- البرازيل**

خلال زيارة الرئيس «محمد خاتمي» إلى كاراكاس في شباط 2004 للمشاركة في لقاء الـ 15 الكبار لدول عدم الانحياز G15، التقى بالرئيس الجديد المنتخب للبرازيل «لولا دا سيلفا»، وتناولت المباحثات بينهما التجارة المتبادلة ونتائجها[102]. وانطلاقا من تلك اللحظة، تضاعفت الصادرات البرازيلية باتجاه إيران. والواقع أن البرازيل منذ عدة سنوات مع حجم تبادلات يصل إلى مليار ونصف المليار تقريباً من الدولارات، تعدّ أهم شريك لإيران في أمريكا

97 « Iran inaugura embajada en Ecuador », *Prensa Latina*, 13 fevrier 2009

98 « Saint Vincent and the Grenadines Premier Visits Iran », *Payvand News*, 27 avril 2007

99 « FM: Iran resolved for cooperation with Caribbean states », 27 janvier 2010, <www.mfa.gov.ir/cms/cms/Tehran/en/NEW/47883.html>.

100 Ray Chickrie, « Guyana and Iran Sign Two MoUs », *Caribbean Net News*, 25 janvier 2010.

101 Ray Chickrie, « Guyana and Iran Sign Two MoUs », *Caribbean Net News*, 25 janvier 2010

102 Bruno Muxagato, « Les relations Brésil/Iran et la question du nucléaire », *Politique étrangère* 2010/2 (Eté), p. 399-411

اللاتينية، حيث تعادل صادراتها إلى إيران صادرات دولتي تركيا والهند المجاورتين لإيران معاً[103]. ومع ذلك، عندما قرر «أحمدي نجاد» زيارة البرازيل زيارة رسمية في أيلول 2007، بعد أن تكلم أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، وزار فنزويلا وبوليفيا، ولم يتمكن من إتمام الزيارة إلى البرازيل، فإن الدبلوماسية البرازيلية أشارت إلى عدم توافق المواعيد بين البلدين.[104]وفي الواقع، فإن تردد البرازيليين في لقاء الرئيس الإيراني، لم يمنع الرئيس «لولا» من دعم البرنامج النووي الإيراني، وأشار إلى أن إيران «لا يجب أن تعاقب لمجرد شكوك لدى الغربيين».[105] والحال أن اهتمام البرازيليين بالبرنامج النووي الإيراني، يعود إلى بداية التسعينيات، عندما كانت البرازيل تحاول بيع إيران جزءا من التجهيزات المتعلقة بالبرنامج الخاص بها، ما أدى إلى تدخل الولايات المتحدة لمنعها من ذلك[106]. فهل كان «أحمدي نجاد» يسعى إلى كسب حليف جديد له؟»

زار «أحمدي نجاد» البرازيل في تشرين الثاني 2009، مثيراً جدلا واسعاً في البلد الذي كان يتحضر لتحول حاسم في تاريخه. وقد أثارت هذه الزيارة انتقادات الدول العظمى الغربية المشككة في سياسة إيران الدولية وببرنامجها النووي غير السلمي. وكانت الطموحات الكبيرة للبرازيل التي تريد الحصول على مقعد دائم في مجلس الأمن، تمر مع ذلك عبر الاستثمار في كبرى الشؤون الدولية، ومنها بالتالي المسألة النووية الإيرانية، وكذلك الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. وبالتالي، فإن موقف البرازيل هنا مهم جدّاً؛ لأننا لا بد أن نتأمل في بعض المتوازيات بين البرنامج النووي الإيراني والبرنامج النووي البرازيلي الذي كان قد استفاق في تلك الفترة، وأيقظ أيضا حفيظة القوى الكبرى.[107]

كان الرئيس الإيراني يحضر نفسه إلى تعميق العلاقات مع البرازيل عبر زيارة في أيار 2009، على الرغم مما لحظه من الحكومة البرازيلية بأنها كانت «مشغولة»، وهو أمر ترافق مع تصريحات «نجاد» ضد إسرائيل في كلمته التي ألقاها أمام الأمم المتحدة حول معاداة السامية قبل موعد الزيارة بشهر في جنيف[108]. وقد تم تأجيل اللقاء كما تم تبريره بسبب التزام الرئيس الإيراني بانتخابات في شهر حزيران. وإذا أخذنا بالصحافة البرازيلية، وما قاله الصحفي البرازيلي «كلوديو دانتاس سكيرا»، فإن مخطط الاتفاق البرازيلي الإيراني كان قد تم وضعه خلال لقاء تم في وزارة الخارجية في 25 آذار 2009 من أجل تقويض العلاقات بين البرازيل والولايات المتحدة. وعلى الرغم من العقوبات الأمريكية وقرارات مجلس الأمن ضد التعاملات مع المؤسسات المالية الإيرانية، فقد التقى وزيرا الخارجية «مانوشهر متقي» و«سلسو أموريم» ووقعا اتفاقية تعاون بين الشبكتين المصرفيتين تتم بموجبها مساعدة إيران في الحصول على

103 Faride Farhi, « Iran in Latin America », *op. cit.*

104 Denise Chrispim Marin, « Itamaraty Avoids Ahmadinejad, Lula Summit », *Agencia Estado*, 25 septembre 2007

105 « Brazil's Lula Defends Iran's Nuclear Rights », *Reuters*, 25 septembre 2007

106 « Iran Brazil Nuclear Deal Off », *Middle East Defense News*, vol. 5, no 7, 6 janvier 1992, cite par Ariel Farrar-Wellman, « Brazil-Iran Foreign Relations », *American Enterprise Institute (AEI) Iran Tracker*, 26 juillet 2009, <www.irantracker.org/foreign-relations/brazil-iran-foreign-relations>.

107 Bruno Muxagato, « Les relations Brésil/Iran et la question du nucléaire », Politique étrangère 2010/2 (Eté), p. 399-411

108 « Ahmadinejad to Visit Brazil on May 6 », *AFP*, 1er mai 2009

الائتمانات والضمانات المصرفية التي كانت أوروبا والولايات المتحدة تمتنع عن إعطائها لها بسبب العقوبات[109]. ووفق صحيفة *Ambito Financiero* الأرجنتينية، فإن إحدى الاتفاقيات المقترحة كانت تهدف إلى تصدير اليورانيوم إلى إيران، لكن وزير الدفاع «نلسون جوبيم» كان قد صرح للصحيفة أن أي اتفاق نووي بين البلدين كان مستبعداً.[110]

تم استقبال «أحمدي نجاد» بحرارة خلال زيارته في تشرين الثاني عام 2009 إلى البرازيل من قبل الرئيس «لولا»، على خلفية تظاهرات معارضة وحتى تظاهرات لمجموعات يهودية وعربية، وجمعيات من المثليين ومجموعات دينية من أصل أفريقي[111]. وأسف «جوزيه سيرا» حاكم ساوبالو ومرشح المعارضة لانتخابات الرئاسة من أن «البرازيل التي كانت قد كافحت في الماضي ضد ديكتاتورييها استقبلت قائد دولة ديكتاتورية».[112]

وقد دافع الرئيس «لولا» عن حق إيران في استخدام «سلمي» للنووي، وفي تخصيب اليورانيوم ضمن احترامها للاتفاقيات الدولية. وخلال اللقاء الصحفي المشترك للرئيسين، تحدث لصالح القيام بإصلاحات في مجلس الأمن تطالب بها البرازيل وبحق البرازيل بمقعد دائم فيه. وقد وجد البرازيليون في الواقع، في إيران حليفاً مهمّاً وشرعية بلد بدأ يلعب دورا متنامياً في الشؤون العالمية.[113] وقد أكد «لولا» أن العلاقات تتحسن مع إيران، وأنها ستساعد على حل مشاكل الشرق الأوسط، وأضاف أنه التقى أيضاً «شمعون بيريز» و«محمود عباس». وفي الواقع، كان الرئيس السابق للبرازيل يريد أن يظهر كمدافع عن البلدان النامية، حتى وإن كانت بلدانا دكتاتورية، وكذلك كان يريد أن يبين للغربيين أن الزمن الذي كانوا يملون فيه على العالم كيف يتصرف زمن ولّى ولن يرجع.[114]

وفقا للباحث «نيما خورامي أسل»، «فإن اهتمام البرازيل بتعديل التوازنات الاقتصادية والتجارة العالمية بدأ يتمحور على الشرق الأوسط»: فالأمر بات يتعلق بتوسيع تأثيرها في المنطقة كمنافسة للصين، وعلى حساب الشعبية المتراجعة للولايات المتحدة. أما أهداف البرازيل الرئيسة من ذلك، فهو تنويع العلاقات التجارية والشركاء الاقتصاديين.[115] وقدم وزير الخارجية البرازيلي إيران، على أنها «الشريك الجغرافي الجديد» لبلده. وبالنسبة إلى الرئيس «لولا»، فإن العلاقات الطيبة مع إيران كانت وسيلة «لتأكيد استقلالية البرازيل تجاه واشنطن، والتموضع كفاعل في سياسات الشرق أوسطية، وكذلك التموضع كوسيط بين إيران والغرب». ومثل هذه السياسة، كان يمكن أن تحدث

109 Claudio Dantas Sequeira, « O accordo secreto do Brasil com o Ira », *IstoE Independente*, 15 novembre 2009.

110 Carolina Barros, « The Price Mr. Lula is Paying for Brazil's Friendship with Iran », □*mbito Financiero*, 30 octobre 2009

111 « Miles de brasilenos rechazan visita de Ahmadinejad y critican a Lula », *El Informador* (Mexico), 22 novembre 2009

112 « Presidente de Iran prueba diplomacia brasilena en visita oficial », *El Informador* (Mexico), 23 novembre 2009

113 Defiende Lula derecho de Iran a mantener programa nuclear pacifico », *El Porvenir* (Mexico), 23 novembre 2009, <www.elporvenir.com.mx/notas.asp?nota_id=354976>.

114 John Fitzpatrick, « Iranian Leader's Visit to Brazil Takes the Gloss Off Lula's International Image », *Brazil-Trying to understand Brazil since 1989*, site web.

115 Nima Khorrami Assl, « Brazil: a new face in the Middle East », *gardian.co.uk*, 21 decembre 2010

تراجعات في العلاقات مع الدول العربية السنية. وكلما كان «لولا» يدافع عن ممارسات إيران في مجال حقوق الإنسان، كلما كانت الصورة الديمقراطية للبرازيل تتعرض للانتقاد أكثر[116]، ومثال ذلك محاولة الرئيس البرازيلي «ديلما روسف» إنقاذ حياة «سكينة أشتياني» الإيرانية التي حكم عليها بالرجم بتهمة الزنا، مقدماً لها الملجأ ومؤكدا خلال حملته الرئاسية عام 2005 أن لا شيء «يستحق عقوبة الموت»؛ في حين أن «لولا» كان يجازف بالتدخل في الشؤون الداخلية لإيران. بالمقابل، فقد كان رد الإيرانيين قاسياً ورفضوا المبادرة الإنسانية لرئيس برازيلي مضلل «بمزاجه العاطفي والإنساني»، والذي لم تكن لديه كافة عناصر الحكم على هذه القضية[117]. لقد دافعت البرازيل طويلا عن البرنامج النووي الإيراني كبرنامج مدني سلمي، على الرغم من كافة الدلائل التي كان يقدمها الغرب على أن هذا البرنامج لم يكن كذلك. خلال أول زيارة قام بها الرئيس «لولا» إلى طهران في أيار 2010، وكانت زيارة تاريخية، أعلن منتصرا أنه ورئيس الوزراء «رجب طيب أردوغان» أقنعا إيران بنقل جزء كبير من اليورانيوم لديها، وتخصبه في الخارج. لكن واشنطن ردت بغضب وقسوة على ما سمي نجاحاً تم الحصول عليه عبر «المفاوض» البرازيلي؛ لأن هذا النجاح اعتبره الأمريكيون تهديداً للاتفاق الذي تم الوصول إليه من قبل الأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن حول جملة جديدة من العقوبات ضد إيران التي كانت تنتهك التزاماتها التي تعهدت بها بتوقيعها على اتفاقية عدم الانتشار النووي[118]. إن المسألة الجوهرية التي تفصل بين البرازيل والولايات المتحدة هي «معرفة إذا كانت إيران أو لم تكن على طريق الوصول إلى سلاح ذري ومعرفة ماذا يجب فعله في الحالة الثانية». وسينتظر الأمريكيون، ليروا موقف الرئيسة المنتخبة إذا كان «يعكس بعين الاعتبار البراهين المتراكمة وفقهم حول إنتاج الإيرانيين لقنبلة نووية». ويبدو من جهة أخرى، أن «ديلما روسف» قامت بخطوة بسيطة عبر انتقادها في مقابلة مع واشنطن بوست لممانعة البرازيل خلال تصويت في الأمم المتحدة، يدين إيران للرجم وانتهاكات حقوق الإنسان، إنما دون أن تظهر تحوّلا كبيرا لعلاقات البرازيل مع هذا البلد.[119]

***- الباراغواي**

اعتلى «فرناندو أرمنيدو لوغو منديز»، وهو كاهن كاثوليكي سابق، سدة الرئاسة في باراغواي في 15 آب 2008 مدشنا الرئاسة الخامسة على التوالي لتوجه البلد اليساري. وكان «أحمدي نجاد» أحد أوائل الرؤساء الذين هنأوه لفوزه. وقد قدمته وسائل الإعلام الإيرانية كرجل الله المتدين وكعدو للشيطان الأكبر. وقد ساهم السكان المسلمون بعددهم الكبير في منطقة الحدود الثلاثة في حملة الرئيس وفي فوزه عبر مسابقات لجمع التمويل مدعومة من قبل

116 Hal Brands, « Dilemmas of Brazil's Grand Strategy », *Strategic Studies Institute Monograph*, U.S. Army War College, aout 2010

117 H. J., « Payback time », *The Economist online*, 2 aout 2010

118 Peter Hakim, « US-Brazil Relations: Expect More Conflict », *Infolatam*, 21 octobre 2010, <www.thedialogue.org/ page.cfm?pageID=32&pubID=2490>.

119 Cf. *Id*., « What Dilma Can Do to Improve US-Brazil Relations », *O Estado de S□o Paulo*, 31 janvier 2011

إيران وفنزويلا.[120] وقد عين «لوغو» بعد فوزه السفير الباراغوايي في لبنان، «إليخاندرو حمد فرانكو»، وزيرا للشؤون الخارجية للبلد. وأعلن هذا الأخير عن رغبة بلده في تعميق العلاقات مع الشرق الأوسط. وكان هذا التعيين وراء خلق توترات مع وزارة الخارجية بسبب ميول هذا الأخير للتيارات المعارضة لأمريكا في المنطقة وعلاقاته مع مجموعات محظورة من قبل الولايات المتحدة. وقد اتهم بأنه أعطى جوازات سفر باراغوايية لمواطنين لبنانيين كانوا جميعهم برأيه يريدون الإفلات من الإرهاب الإسرائيلي في عام 2006.[121]

في شباط 2009، زار وفد من الحكومة الإيرانية باراغواي. وكان يأمل باستيراد الصويا واللحوم، وأظهر اهتماماً بالتعاون في مجالي الزراعة والتكنولوجيا، وكذلك الاستثمار في مجال العقارات[122]. وتشير هذه الخطوة مرة جديدة، إلى مدى براعة إيران في بناء علاقات اقتصادية تكون مدخلا إلى فرص جديدة لها على مستويات سياسية.

***- الأوروغواي**

في حزيران 2008، دعا نائب الرئيس في أوروغواي «رودولفو نين نوفوا» إلى توسيع العلاقات مع الجمهورية الإسلامية. وكان مستعدّا لزيارة إيران، ليناقش معها تعاونا متنامياً، حيث كان الرئيس «أحمدي نجاد» قد دعا نظيره الأوروغوايي لزيارة طهران في مستقبل قريب. وقد أعلن أيضاً عن تسمية سفير جديد في إيران، وتشكيل مجموعة برلمانية للصداقة الإيرانية الأوروغوايية[123]. وهكذا، فقد تم تعيين «فرناندو ألبرتو أرويو» سفيرا لأوروغواي في طهران في تشرين الأول من عام 2008. وكان ذلك فاتحة تعاون وتعميق للعلاقات بين البلدين.

وفي تشرين الثاني من عام 2010، أعلن الرئيس الجديد لأوروغواي «جوزيه موجيكا كوردانو» أن بلده «يسعى لتعميق علاقات التعاون بين بلده وإيران»[124]. وقد جاء هذا الإعلان في سياق تقاربات عديدة لإيران مع دول المنطقة، ما عزز من قدرة إيران وثقتها بأنها استطاعت الولوج إلى مجال حيوي اقتصادي وسياسي واسع جدا. وقد أشار رئيس أوروغواي الجديد خلال لقاء له مع «محمد عباسي» وزير الجمعيات التعاونية، أن بلده كان مصمّما على الحفاظ على علاقات بلده مع إيران ومع دول أخرى مستقلة، على الرغم من الضغوط الممارسة على أوروغواي». وعبر السفير الجديد في مونتيفيديو، «حجة الله سلطاني»، عن استعداد إيران لنقل الخبرات والتكنولوجيا إلى أوروغواي، وأكد وزير الخارجية الإيراني «مانوشهر متقي» أن «طهران ومونتيفيديو يتقاسمان تقاربات ومواقف حول عدد من التطورات

120 « Paraguay's Persian Presence: Iran's New Friend in Latin America », *Council on Hemispheric Affairs website*, 21 aout 2008, <www.coha.org/2008/08/paraguay %E2 %80 %99s-persian-presence-iran %E2 %80 %99s-new-friend-in-latin- america/>.

121 John Kiriakou, « Iran's Latin America Push », *Los Angeles Times*, 8 novembre 2008:

كانت الولايات المتحدة قد نصحت الرئيس لوغو بعدم تسمية حمد وزيرا للخارجية الذي كان يدعم حماس وحزب الله، وهما منظمتان تعتبرهما الولايات المتحدة منظمتين إرهابيتين، وأنها لن تعطيه الفيزا ولن تسمح له بالصعود على متن الخطوط الجوية الأمريكية.

122 Iran Eyes Enhanced Cooperation in Trade, Technology with Paraguay », *Xinhua*, 4 fevrier 2009

123 *Irna News Agency*, 18 juin 2008

124 « Uruguay seeks expanded ties with Iran », *Trends News Agency*, 6 mars 2010

الدولية»[125]. وبعد نحو شهر من هذا التصريح، صرح «متقي» لنائب وزير الخارجية الأوروغوايي «نيل فرناندیز» أن إيران كانت مستعدة لتوسيع التبادلات الثنائية على المستويين الاقتصادي والتجاري. وأجاب الوزير الأوروغواي في زيارة له إلى طهران للمشاركة في الأعمال الخامسة للجنة الاقتصادية المشتركة بأن توسع العلاقات بين البلدين كان أولوية من منظور الحكومة الجديدة المنتخبة[126]. وفي كانون الثاني من عام 2011، أكد هذا المنحى رئيس البرلمان الأوروغوايي «إيفون باسادا» خلال زيارته لطهران مؤكداً على أهمية توسعة العلاقات بين الطرفين.[127]

ومهما كان تصورنا عن مدى استفادة إيران من هذه العلاقات، فإننا نستطيع أن نرى بوضوح أنها كانت في إطار خطة مدروسة لفتح الإمكانات التجارية وتحقيق المبادلات في إطار الحصار المفروض على إيران. وقد نجحت إيران أيما نجاح في ذلك. وسوف نرى بالمقابل، أن هذا التوجه الشامل للعلاقات مع أمريكا اللاتينية قد حقق نجاحات، حيث لم يكن متوقعا لها ذلك أبدا.

***- الأرجنتين**

للأرجنتين سفارة في طهران، ولإيران سفارة في بوينس آيرس. ومنذ عام 1994، تراجعت العلاقات بين البلدين بسبب تورط إيران في الهجوم على الجمعية الإسرائيلية الأرجنتينية Amia. وعلى الرغم من أن الأرجنتين حافظت على علاقات ودّية مع كل من حلفاء إيران ـ شافيز وأورتيغا وكوريا ـ فإن الرئيس «نستور كرشنر» ألغى مشاركته في حفل تنصيب «كوريا» رئيسا لبلده، عندما أعلن أحمدي نجاد أنه سوف يحضر حفل التنصيب. وكان صراع إيران مع الولايات المتحدة يعقد الأمور بالإضافة إلى ذلك.[128]

في شباط 2007، نظمت الحكومة الإيرانية أول مؤتمر دولي حول أمريكا اللاتينية في معهد الأبحاث في السياسة الدولية في وزارة الشؤون الخارجية حول التنمية في المنطقة. ووفق الصحافة، فإن أعضاء من البرلمان الأرجنتيني شاركوا في هذا الحدث.[129] وقد أثار هذا الحدث اهتمام الأرجنتينيين عموما، خاصة مع مقارنة العلاقات الإيرانية مع دول الجوار في أمريكا اللاتينية والتطورات التي كانت تحصل على المستويات الاقتصادية والتجارية فيها.

وبحسب المحلل التشيلي «إيفان ويتكر»، فإنه يرى أنه على عكس فنزويلا ودول الأعضاء في الألبا Alba أو حتى البرازيل، فإن «شيلي والأرجنتين لم يكونا من الدول المرحبة بالانفتاح على إيران». مع ذلك، فإن هاتين الدولتين هما محط اهتمام إيران، الأول بسبب وجود جماعة يهودية كبيرة فيه، والثاني بسبب وجود مهاجرين فلسطينيين فيه

125 « Uruguay Keen to Boost Ties with Iran despite Pressures », *Fars News Agency*, 28 novembre 2010

126 « Iran, Uruguay discuss promotion of ties », *Iran's Ministry of Foreign Affairs Site*, 14 decembre 2010

127 « Iran keen to boost Latin American Ties », *Trends News Agency*, 18 janvier 2011.

128 Monte Reel, « Argentina Pursues Iran in '94 Blast As Neighbours Court Ahmadinejad », *The Washington Post*, 14 janvier 2007

129 Carlos Malamud, Carlota Garcia Encina, « Outside Players in Latin America (II): Iran », *Analysis of the Elcano Royal Institute* (Ari) 124/2007 (traduit de l'espagnol), 4 decembre 2007

بأعداد كبيرة، مما يعني دعما ممكنا لها في المنطقة.[130] ومن الصعب جدّا بالتالي، قراءة مصير العلاقات بين الأرجنتين وإيران على ضوء التطورات التي تسارعت خلال السنوات القليلة الماضية. لكن مما لا شك فيه، أن إيران ستسعى جاهدة إلى اختراق هذا الحاجز الذي تمثل في الهجومين خلال سنتي 1992 و1994. ولا شك أن أية إعادة للعلاقات والثقة على المستوى الدبلوماسي بين البلدين، سيكون تبعا لتوضيح دور إيران في هذين الهجومين، وهو أمر يستدعي من بوينس آيرس رقابة صارمة على الحدود الثلاثية المشتركة مع بوليفيا وباراغواي. وينطبق ذلك على الرصد الدقيق من قبل الأرجنتين للعلاقات المتطورة للبرازيل مع إيران على المستوى السياسي والاقتصادي على حد سواء.[131]

وإذا أردنا أن نكون واقعيين، فإنه من الضروري أن نلحظ بأن الدبلوماسية الإيرانية تراهن كثيرا على نجاحها في أمريكا اللاتينية، ويبدو أن الخطوات التي ستلي في اتجاه الأرجنتين ستكون حاسمة.

***- شيلي**

ليس ثمة أسباب تاريخية أو ديمغرافية أو اقتصادية أو عسكرية مهمة، لكي تهتم إيران بشيلي. وكما رأى «ويتكر» محقا، فإن شيلي تشكل ما يشبه من حيث اهتمام إيران محطة رصدية وداعماً ثانوياً لانتشار الإيرانيين في خارج إطار منطقة تأثيرهم في أمريكا الجنوبية، وفيما يتعلق بالعلاقات مع الولايات المتحدة وبلاد الطرف المطل على المحيط الهادئ. وبالمثل، فإن طهران يمكن أن تجد الفائدة في التعاون مع العديد من الشيليين المتحدرين من أهل فلسطين، حتى وإن لم يكن هؤلاء الأخيرين في معظمهم من المسيحيين. ويشير «ويتكر» أيضاً إلى إمكانية أن تقدم حماس نفسها لهؤلاء في المجتمع، مما يتوج «المثلث العملياتي مع إيران وحزب الله»[132]. ويمثل هذا التحليل وجها محتملا لاستراتيجية إيران في أمريكا اللاتينية، رغم أنه يبقي الباب مفتوحا أمام أوجه أخرى للعمل السياسي الاستراتيجي التوسعي، حيث لا يوجد مكان فيه سوى لطموحات اختراق المحلية الضيقة للسياسة الإيرانية للبروز كقوة عالمية وليس فقط كقوة إقليمية.

إن دخول إيران إلى مناطق نفوذ بعيدة عنها جغرافيا، يظل ممكنا إذا ما تم تدعيمه بجوانب ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية إلخ. لكن إيران تنحو في سعيها للتوسع إلى مدّ عقائدي يشكل أساسا لتوسع نفوذها السياسي والاقتصادي. وهذا الرهان الإيراني يرتكز على توجه الثورة الإيرانية أساسا في نشر مبادئها، وهو توجه يستفيد براغماتيا من النتائج المرجوة في زيادة عدد الأنصار، لكنه لا يبني أولوياته على تحقيق منجزات اقتصادية أو أرباح تجارية بالدرجة الأولى، بل على بناء قوة ذاتية قادرة على العبور إلى المستقبل.

130 Ivan Witker Barra, « Iran's Expansion in Latin America and its Security Implications for Chile and Argentina », *Insights From The Field*, <www.seguridadregional-fes.org/upload/5457-001_g.pdf, mai 2010>.

131 Ivan Witker Barra, « Iran's Expansion in Latin America and its Security Implications for Chile and Argentina », *Insights From The Field*, <www.seguridadregional-fes.org/upload/5457-001_g.pdf, mai 2010>.

132 Ivan Witker Barra, « Iran's Expansion in Latin America and its Security Implications for Chile and Argentina », *Insights From The Field*, <www.seguridadregional-fes.org/upload/5457-001_g.pdf, mai 2010>.

الدخول الناعم عبر العقائدية والدين

إن البحث السريع عبر الدراسات المنشورة على الإنترنت، أو في الكتب والمجلات المتخصصة، يبين أن أمريكا اللاتينية ليست في مأمن من المدّ العقائدي الإيراني. وعند مراجعة الموقع المعروف المقرب من إيران «الإمبريالية والمقاومة»[133] نجد أنه يعمل على الجمع بين الخطاب اليساري والخطاب الإسلامي. وهذه سياسة جذب بشكل خاص في إطار أمريكا اللاتينية التي نما فيها وتجذر الاتجاه اليساري في عدة دول. ولهذا، فإن مثل هذا الموقع يشكل مساحة مهمة للمعلومات في أمريكا اللاتينية، وهو موقع من مواقع عديدة باتت لا تحصى من المواقع التي تديرها شبكة من المعلومات الإيرانية باللغة الإسبانية.[134] ويقدم موقع أرجنتيني موالي لإيران نفسه كموقع للـ «إسلام الهندو أمريكي»، وهو مساحة لانتشار الأفكار حول «الواقعية السياسية» في القارة «من وجهة نظر إسلامية ثورية»[135]. ولا تشتمل كافة هذه المواقع فقط على نصوص شرعية ذات بعد ديني أو ثقافي، بل كذلك مساهمات ضد الولايات المتحدة ومعادية لإسرائيل ومعادية للغرب[136]. يضاف إلى هذه المواقع وكالات الصحافة الإيرانية باللغة الإسبانية مثل Prensa Islamica أو حتى صحيفة Hezbollah TV Web[137]. وضمن هدف استراتيجي أوسع، تعمل إيران على افتتاح محطة تلفزيونية «لكامل أمريكا اللاتينية» مركزها في بوليفيا. أعلن «مورالیس» نفسه أن هذه المحطة ستكون مخصصة لجميع الذين في بوليفيا وفي أمريكا اللاتينية يشجعون كفاح حركة الفلاحين»[138]. ووفق معلومات

133 *Imperialism and Resistance* à <www.almusawwir.org/resistance>

134 Organization Islamica Argentina, <www.organizacionislam.org.ar> ; Union de Mujeres Musulmanas Argentinas, <www.umma.org.ar> ; United Latino Muslims of America (Ulma) [en realite un site iranien pour le Mexique et le Movimiento Mexicano de Solidaridad con el Pueblo Irani (MMSPI)], <www.u-l-m-a.com/default.aspx> ; Comunidad islamica Shia de Bolivia ; <www.usuarios.lycos.es/shiabolivia> ; Oficina de Divulgacion Islamica «Fatimah Az-Zahra»/ San Salvador/ Salvador, disponible egalement en anglais, en francais, en italien et en portugais (!), <www.islamelsalvador.com> ; Corporacion de Cultura Islamica, Santiago - Chili, <www.islamchile.com/pagina.php> ; Semanario Islamico, Temuco, Chili, 2009, <www.islam.cl> ; Fundacion Cultural Oriente, <www.islamoriente.com> ; Red Islam, <www.redislam.com> ; Agencia de Noticias Coranicas de Iran, <www.iqna.ir/es> ; Organizacion Cultural y de Relaciones Islamicas (Ocri), <www.es.icro.ir> ; The blog Shia Latinos, <www.shialatinos.blogspot.com> ; Islam-Shia, <www.islam-shia.org>.

135 <www.oidislam.blogspot.com>, [2 mars 2009].

136 على سبيل المثال يقدم موقع الإسلام الشيعي The Islam-Shia website وينصح بكتابين للفيلسوف والستراتيجي من اليمين المتطرف نوربرتو كرسول:

La Falsificacion de la Realidad. La Argentina en el Espacio Geopolitico del Terrorismo Judio

La Conquista del Imperio Americano El Poder judio en Occidente y en Oriente

وكذلك كتاب روجيه غارودي "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية"، وهو يتوج هذه الكتب بكتاب: "بروتوكولات حكماء صهيون".

137 Prensa Islamica, <www.prensaislamica.com>

إضافة إلى موقع ويب لقناة المنار التابعة لحزب الله باللغة الإسبانية

<www.almanar.com.lb/newssite/news.aspx?language=es>

138 « Morales: Iran to Start TV Channel in Bolivian Coca Country », *Associated Press*, 19 fevrier 2008.

أحدث، فإن الحكومة الإيرانية تراجعت عن إنشاء المحطة في بوليفيا، على الأرجح لأسباب تمويلية، في حين أن فريقا من التلفزيون الإيراني زار البلد، لكي يدرس الواقع «السياسي والثقافي فيه»[139]!

ومن المهم الإشارة هنا إلى الحملة التي أطلقت بعنوان «دعم إيران» (SI ـ Solidarity with Iran) التي أطلقها في تشرين أول 2010 «بيت أمريكا اللاتينية (Hola) *House of Latin America*»، وهي منظمة غير حكومية مركزها في إيران، ويزعم القائمون عليها أنهم نجحوا في كسب دعم مئات النشطاء وعشرات الجمعيات العاملة في مجال الحركة الدولية من أجل السلام. ووفقا لـ «أمير تفرشي» و«حميد شهرابي»، وهما عضوان في وفد الـ Hola الذي قام بجولة في أمريكا اللاتينية في 17 تشرين الثاني 2010، فإن هدف الزيارة كان «تحريض الرأي العام العالمي في الوقت الذي كانت تتعرض فيه إيران لاعتداءات متكررة من قوى كبرى، الأمر الذي كان ناجماً عن عقوبات اقتصادية وتهديدات بالحرب ضدها». وقد زار الوفد كوبا ونيكاراغوا والإكوادور وبوليفيا والأوروغواي والبرازيل.[140]

يبقى أن نقول إن استثمار إيران في المجال الفكري والثقافي والإعلامي والديني يكمل الخطة المتكاملة لتمدد إيران في خاصرة الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى خلفية صراعها العقائدي ضد إسرائيل وأمريكا، فإن إيران تجد مبرّرا قويا لها لزرع بذور فكرها العقائدي ولتوطينه في إطار داعم له من خلال ترويجه عبر أعمال دعم ثقافية واقتصادية على حد سواء.

هل تمول إيران الإرهاب وحزب الله في أمريكا اللاتينية؟

قد نتساءل بعد كل هذه النجاحات التي حققتها إيران في أمريكا اللاتينية؛ لماذا تحتاج إيران فعلا إلى دعم عمليات غير شرعية في المنطقة، الأمر الذي يمكن أن يقوض ما بنته خلال سنوات، وما يعد أثمن بكثير من منجزات قد يمكن لهذه العمليات أن تقدمه.

إن كافة الدراسات التي نشرت وتؤكد دعم إيران للإرهاب في أمريكا اللاتينية نشر أغلبها من قبل دائرة العلاقات الخارجية في الولايات المتحدة[141]، ووفق هذه المنشورات، فإن إيران هي من أكثر الدول نشاطا في العالم في دعم الإرهاب[142]. ويقدر الأمريكيون أن حجم الإنفاق في مجال الإرهاب الذي تنفقه إيران يتجاوز أرقاما من تسع خانات، الأمر الذي يشتمل على أكثر من عشرة ملايين دولار إلى حزب الله وحده كل شهر، ونحو(20) إلى (30) مليون

139 Carlos Valdez, « Entrevista AP: Iran descarta instalar televisora en Bolivia », *Los Tiempos*, 29 septembre 2008

140 « Latin Continent Voices Strong Support for “Solidarity with Iran” Campaign », *Fars News Agency*, 14 decembre 2010

141 « Country Reports on Terrorism 2007 », *Office of the Coordinator for Counterterrorism*, U.S. State Department, 30 avril 2008

142 « Country Reports on Terrorism 2007 », *Office of the Coordinator for Counterterrorism*, U.S. State Department, 30 avril 2008

دولار سنويا إلى حماس، ومليوني دولار سنويا للجهاد الإسلامي، ومؤخرا نحو (30) مليون دولار سنويا إلى المتمردين العراقيين.[143]

فهل تمول إيران فعلا الإرهاب أو تمول بالأحرى أحزابا أو جهات لصالح حربها العقائدية، وتوسيع نفوذها الذاتي ولصالح دخولها بأية طريقة إلى عالم الغد بقوة وقدرة على المواجهة؟

في عام 2006، عبر مساعد وزير الخارجية الأمريكية «توماس شانون» عن قلقه من نمط العلاقات التي كان «شافيز» يريد بناءها مع إيران على مستوى الاستخبارات. وفي حزيران من عام 2008، صرح بأن «إيران لها ماض عريق في الإرهاب في هذا الجزء من العالم وعلاقتها بالهجمات التي حصلت في بوينس آيرس مثبتة بشكل قوي».[144]

أدت الهجمات الانتحارية في عام 1992 ضد سفارة إسرائيل في بوينس آيرس إلى هز الرأي العام في الأرجنتين والعالم، حيث كانت تلك الهجمات الأولى من نوعها في نصف الكرة الغربي. فقد هجمت سيارة يقودها انتحاري ومحملة بالمتفجرات واصطدمت بواجهة السفارة، وأدت إلى مقتل (29) شخصاً وجرح (242) آخرين. وفي 18 تموز 1994، تم استهداف جمعية العلاقات اليهودية الأرجنتينية Amia بقنبلة، وكانت محصلة الهجوم (85) ضحية و(300)جريح. كان ذلك هو العمل الإرهابي الأكثر إصابات في تاريخ الأرجنتين والأكثر قتلاً لليهود خارج إسرائيل بعد الحرب العالمية الثانية. في 25 تشرين الأول 2006، قدم ألبرتو نسمان النائب العام، ومارسيلو مارتينز برغوس المدعي العام للجمهورية نتائج التحقيقات: وقد اتهمت هذه النتائج حزب الله بدعم من إيران بتنفيذ العمليتين. فقرار تنفيذ الهجوم كان قد اتخذ بالتوافق مع أعلى السلطات في إيران، ووفق التحقيق كانت إيران قد طلبت من حزب الله تنفيذ الهجوم.[145]

وأدى هذا التقرير إلى أن الحكومة الأرجنتينية أوقفت اتفاقياتها الماضية مع إيران، وخاصة تلك التي كانت قد عقدتها معها قبل سنوات، لتزويدها بالتكنولوجيا والمواد المساعدة في التوجه الإيراني النووي».[146]

منطقياً، يعتبر هذا الهجوم مضرّاً بمصالح إيران الاستراتيجية، فإيران التي كانت تعتمد وفق اتفاقيات مع الأرجنتين على هذا البلد بتزويدها بجزء من حاجاتها في مشروعها النووي، قامت بالهجوم على أرضه على السفارة اليهودية. عندما نفكر بأن مكاسب إيران من هذا الهجوم أعاق برنامجها النووي، الأمر الذي كان على الإيرانيين التفكير فيه وتوقعه بالتأكيد، فلا بد أن نعجب من هذا السلوك غير المبرر، والذي يشير إلى أن إيران عملت بعكس مصلحتها وضد

143 Ilan Berman, « No Diplomatic Relations Until Terrorist Funding Stops », *McClatchy-Tribune News Service*, 12 fevrier 2009

144 Chris Kraul, Sebastian Rotella, « U.S. Fears Venezuela-Iran Ties may be Aiding Terrorists », *Los Angeles Times*, 28 aout 2008

145 « Report ; Request For Arrest in the Amia case », traduction officielle du document en espagnol, propriete de l'auteur.

146 « Report ; Request For Arrest in the Amia case », traduction officielle du document en espagnol, propriete de l'auteur

نفسها! فهل كانت هذه العملية قد تمت من خلال خلايا رعتها إيران، ولكنها غلّبت دوافعها العقدية على مصالحها الاستراتيجية؟

تشير التقارير والأحداث، ولاسيما اغتيال النائب «نيسمان» قبل يوم من تقديم تقريره إلى أن هناك من كان يسعى إلى عرقلة هذه التحقيقات ونشر نتائجها، والتي تدين إيران، وإن بشكل غير مباشر، وتكشف عن توسع الشبكة الاستخباراتية الإيرانية في أمريكا الجنوبية والأرجنتين.

في 9 تشرين الثاني 2006، أصدر القاضي «كورال» مذكرات توقيف بحق سبعة إيرانيين وأحد القادة رفيعي المستوى في حزب الله. وفي آذار 2007، وضعت اللجنة التنفيذية في الأنتربول لائحة النقاط الحمراء (Red Notices) بحق ستة أفراد: «عماد فايز مغنية» (الذي قتل في دمشق في شباط 2008)، و«علي فلاحيان»، و«محسن رباني»، و«أحمد رضا أصغري»، و«أحمد واحدي» (الذي أصبح وزيرا للدفاع في حكومة أحمدي نجاد) و«محسن رضائي»[147]. وقد أثار مقتل «مغنية» ردة فعل كبيرة وتصريحات نارية من قبل مسؤولين إيرانيين.[148]

لا شك في أن هذين الحدثين قد شكلا ردّاً على إيران بقدر ما عُدّا اتهاما لها في نظر الأمريكيين. ويتهم التقرير عدة أشخاص إيرانيين كانوا متواجدين على الأرض الأرجنتينية بهدف تحقيق مثل هذا الهجوم.[149]

من المدهش من جهة أخرى، أن المخابرات الأمريكية تبدي في أكثر من مناسبة دهشتها وقلقها من وصول الإرهابيين والعملاء السريين إلى أمريكا اللاتينية عبر رحلات الطيران الأسبوعية بين كاراكاس وطهران. والعجيب أن هذه الاستخبارات القوية تبدي ملاحظتها حول هذه الدخولات دون أن تحرك أي ساكن تجاهها، وقد وصل الأمر بقسم الخارجية الأمريكي إلى اتهام السلطات الفنزويلية في نيسان من عام 2010 بـ «عدم إخضاع بعض المسافرين إلى ضوابط الهجرة والجمارك»[150]. كما اتهمت أمريكا بوليفيا بأنها عبر إزالتها لضرورة الفيزا بالنسبة إلى المواطنين الإيرانيين، فإنها فتحت الطريق لرجال المخابرات المتنكرين أو للضباط، منهم العاملين بشكل متخف في السلك الخارجي والأمن ولحراس الثورة ولقوات القدس، ولبعض الأشخاص المختصين بنشر الثورة الإسلامية عبر العالم، بالوصول إلى أمريكا الجنوبية.[151]

147 « Interpol Executive Committee takes decision on Amia Red Notice dispute », *Interpol media release*, 15 mars 2007

148 « OSC Report: Iran-Tehran Suspects Arab Involvement in Mughniyah Assassination », *NTIS*, U.S. Department of Commerce, 13 mars 2008

149 « Argentina accuses Iran of responsibility for the Hezbollah terrorist attack which destroyed Jewish Community Center in Buenos Aires, 1994

150 Ian James, « Iran Raises Profil », *op. cit.*>

151 John Kiriakou, « Iran's Latin America Push », *op. cit.*

لقد برهنت إيران خلال العقدين المنصرمين أنها تجاوزت المواجهة المباشرة والعلنية مع الولايات المتحدة في أمريكا اللاتينية؛ فهي اليوم تسعى إلى تمتين نفوذها الذي حققته، إضافة إلى إنجاح دورها السياسي في هذه البقعة من العالم، والذي يصب في إخراجها من قوقعتها، لتصبح على بعد خطوة أو تكاد من دخول مرحلة البلدان القوية والكبيرة.

وماذا عن وجود حزب الله في أمريكا اللاتينية؟

وجهت اتهامات كثيرة لحزب الله بالقيام بأعمال احتيال واسعة في أمريكا اللاتينية؛ منطلقها منطقة الحدود الثلاثية التي تلتقي عندها الأرجنتين والبرازيل والبارغواي، مستخدما الأعمال المحلية وتجارة المخدرات وشبكات التهريب التي تعمل على تبييض الأموال بغاية القيام بأعمال إرهابية. لكن هذه الاتهامات لم تقترن إلى الآن بإثباتات حاسمة، ولاسيما مع التقارير الصحفية التي تشير إلى عرقلة الرئيس أوباما لهذه التحقيقات، ورغم أن هذه الاتهامات الموجهة لحزب الله جاءت في أحيان كثيرة من مسؤولين أو جهات عليا، لكنها وإلى الآن، وجهت الاتهامات كلها اعتمادا على إدانات موجهة لإيران ولحزب الله دون تقديم براهين دامغة [152]. فهل يعود ذلك إلى قدرة النظام الإيراني وحزب الله على تضليل التحقيقات، أم بسبب المصالح الدولية والأمريكية، خاصة في عقد اتفاق نووي مع إيران، مما تسبب في إبقاء هذه الاتهامات في إطار الضغوط الإعلامية والسياسية فقط، وكورقة توظف في هذا المجال دون التقدم في التحقيقات؟

منذ 11 أيلول قامت دول الحدود الثلاثة وبلدان أخرى معها مثل شيلي وكولومبيا بأعمال مراقبة، وكشفت وفق تقارير عدة عن شبكة واسعة لحزب الله في المنطقة.[153] لكن هذه الشبكة لم يتم إيقافها أو تحديدها أو الإعلان عن أطرافها أو جزء منهم، وأعلن عن إيقاف عدد من النشطاء في باراغواي والبرازيل وشيلي، لكن في معظم الأحيان لأسباب جرمية أو تجارة المخدرات، دون ربط مع حزب الله فعلياً، ودون ربط مع شبكة من أعمال التهريب أو الإرهاب. ويتهم حزب الله بأنه يستغل المنطقة الثلاثية الحدود منذ هجوم بوينس آيرس، ومن ثم بعد أحداث 11

152 راجع على سبيل المثال ما جاء على لسان السفير الفرنسي فرانسيس تايلور:

« The Presence of International Terrorist Groups in the Western Hemisphere », testimony before the House Committee on International Relations, Subcommittee on the Western Hemisphere, *Hearing on the Western Hemisphere's Response to the September 11, 2001, Terrorist Attack on the United States,* 107th Cong., 1st sess., 10 octobre 2001, <www.state.gov/s/ct/rls/rm/2001.5674.htm>,

وأيضاً:

Blanca Madani, « Hezbollah's Global Finance Network: The Triple Frontier », *Middle East Intelligence Bulletin* vol. 4, no 1, janvier 2002, www.meib.org/articles/0201_l2.htm>

153 Fabio Castillo, « The Hizballah Contacts in Colombia », troisieme partie d'une serie d'enquetes, « Tracking the Tentacles of the Middle East in South America », *El Espectador* (Bogota), 9 decembre 2001.

أيلول لجني الأموال وتمويل أعماله، وقاده ذلك إلى توسيع نشاطاته في بلدان أخرى من أمريكا اللاتينية. ومع ذلك، يصرح الذين يتهمونه أنفسهم بأن تموضعه وطبيعة واتساع عملياته لا تزال غير معروفة بشكل كبير.[154]

إن تعزيز حزب الله للأيديولوجيات الدينية المتطرفة، يتيح باعتبار المغتربين الشيعة قيمة استراتيجية من حيث العمليات الإرهابية؛ وهو يقدم أيضاً عناصر سياسية مهمة فيما يخص الطريقة التي يجب أن تعاملهم بها الدول المضيفة لهم، والتي تعد نفسها أنها تكافح الإرهاب. لكن كيف يجب أن تعاملهم هذه الدول[155]؟ إن هذا السؤال والإجابة عنه قد يعطي مفتاح فهم وجود حزب الله في أمريكا اللاتينية، وكذلك مطلب توسيع التحقيقات وشموليتها هو المطلب الأهم والأكثر قدرة عن كشف الحقائق.

***- الإكوادور**

ثمة اتهامات تشير إلى وجود علاقة بين حزب الله وكثرة المساجد المتطرفة المنتشرة في الإكوادور. في حزيران 2005، كانت الشرطة الأكوادورية قد كشفت عن تجارة دولية للكوكايين يقوم بها اللبناني «رضا زعيتر»، والذي كان يستخدم مطعمه العربي في كيتو الشمالية كواجهة لعمله. وسمح التحقيق بإيقاف (19) شخصاً في البرازيل والولايات المتحدة. ومع ذلك، فإن هذا التحقيق لم يربط «زعيتر» ولا التجارة غير المشروعة بحزب الله.[156]

***- كولومبيا**

في عام 2001، أوقفت هيئة التحقيقات التقنية CTI رجل أعمال لبناني هو «محمد علي فرهد»، وهو مرتبط بحزب الله، لكونه نظم عمل تهريب للسجائر بقيمة (650) مليون دولار وأعمال تبييض أموال بين إبيال (في كولومبيا) والمرافئ الإكوادورية. وكانت له صلات مع عملية تبيض أموال دعمها حزب الله وأدارها «إريك وألكسندر منصور» عبر شركة المنصور الحرة للتجارة [157]. وفي تشرين الأول 2008، أوقف المحققون الأمريكيون والكولومبيون نحو (36) متهماً، واعتبر أحدهم كمفتاح رئيس في هذه العملية في بوغوتا، وهو «شكري حرب»، الذي اتهم بأنه بيض أموالا تصل إلى مئات الملايين من الدولارات سنوياً بين باناما وهونغ كونغ، دافعاً نسبة مئوية منها إلى حزب الله. واتهم الآخرون بأنهم ساهموا في كارتل كولومبي، وفي مجموعة شبه عسكرية في تهريب الكوكايين إلى الولايات المتحدة وأوروبا والشرق الأوسط. وفي كافة هذه الحالات، لم تكن هناك دلائل دامغة على ارتباط حزب الله «كمنظمة» في

154 Howard Vincent Meehan, *Terrorism, Diasporas, and Permissive Threat Environments. A Study of Hizballah's Fundraising Operations in Paraguay and Ecuador*, Master of Arts Thesis in National Security Affairs, Naval Postgraduate School, Monterey, California, decembre 2004

155 المرجع السابق

156 « Police Link Ecuador Drug Ring to Hezbollah », *The Associated Press*, 22 juin 2005.

157 المرجع السابق. كانت هذه الشركة وفق المرجع الموزع الرئيس لفيليب موريس في أمريكا اللاتينية، حتى قامت الولايات المتحدة باتهام الأخوة منصور بتبييض الأموال. ومرة أخرى، لم يقم هذا الاتهام على دلائل، بل إن الشركة التي كانت ناجحة جدا في أعمالها، لم تكن بحاجة إلى أعمال غير شرعية. وتشير الطريقة التي صيغت بها الاتهامات كما وردت في الأسوشيتد برس عام 2006 إلى أن التوصيف الخاص بالشركة كان مبنيا على رغبة سياسية بإيجاد جهة قادرة على القيام بمثل هذه العمليات الكبيرة.

هذه العمليات.[158] وهنا يجب أن ننتبه إلى أن الحزب يعتبر نفسه سياسياً كحزب الله، سيكون حريصاً على الاحتياط الكامل من ربطه كحزب بهذه العمليات، وعلى الرغم من ارتباط الموقوفين والمتهمين بشكل مباشر وغير مباشر بحزب الله، فإن التحقيقات المتفرقة، لم تتمكن في ضوء الآلية السرية والحذرة لحزب الله من الوصول إلى اتهامات دامغة للحزب ذاته.

***- فنزويلا أيضاً**

إلى أيّ حد وصل النفوذ الإيراني في فنزويلا؟ وهل وصل الأمر كما ورد في الصحافة الأمريكية بشكل خاص إلى حد إنشاء قواعد إيرانية في فنزويلا؟

لقد شكلت فنزويلا نقطة استهداف للصحافة الأمريكية في حملتها على إيران وعلى حزب الله. ووفق صحيفة *Los Angeles Times* اعتمادا على مصدر موثوق في الاستخبارات لم تصرح عن هويته، فقد قام حزب الله وحراس الثورة الإسلامية بتشكيل خلايا هدفها استهداف اليهود في أمريكا اللاتينية وخطفهم ونقلهم بشكل خفي وغير شرعي إلى لبنان. والدليل الذي قدم هو أنه تم إيقاف فنزويليين في مطار كاراكاس، وأخذ معلومات منهم حول المسافرين اليهود![159]

في حزيران 2008، جمدت دائرة الخزينة في الولايات المتحدة أصول اثنين من الفنزويليين المعروفين كداعمين لحزب الله. فاتهم «غازي نصر الدين» الدبلوماسي الفنزويلي من أصول لبنانية، بأنه استفاد من منصبه في سفارات الشرق الأوسط، لينقل أموالاً مخصصة لحزب الله، وأنه «ناقش مسائل عملياتية مع موظفين رفيعي المستوى» في الحزب. وكان قد سهل في نهاية كانون الثاني 2006 وفق الاتهامات نفسها سفر ممثلين اثنين لحزب الله من البرلمان اللبناني إلى كاراكاس، لكي يستطيعا جمع هبات لصالح الحزب والإعلان عن افتتاح مركز ومكتب مجتمعيين من قبل حزب الله في فنزويلا. وهذا الاتهام هو في الحقيقة واقع، ويأتي ضمن إطار طبيعة عمل هذا الدبلوماسي، وافتتاح حزب الله في عدة دول لاتينية أمريكية مراكز له يعد علنيا وأمرا غير مخفي. وهذا الشخص مكلف حالياً في سفارة فنزويلا في لبنان. كما اتهم «فوزي كنان» المرشد السياحي في كراكاس، بأنه سهل أيضاً مرور أعضاء من حزب الله، وأنه ناقش «أعمال خطف محتملة وهجمات إرهابية» مع موظفين رفيعي المستوى من حزب الله في لبنان.[160] والحال أن «شافيز» بدلا من فتح تحقيق بمثل هذه الاتهامات، أعلن أن العالم وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، تستخدم هذه الاتهامات للضغط عليه.[161] وشاركت صحف عربية في نشر هذه الأخبار حتى أصبحت تتناقل على أنها واقع

158 Chris Kraul, Sebastian Rotella, « U.S. Fears Venezuela-Iran Ties », *op. cit.*

159 المرجع السابق.

160 بنيت هذه الاتهامات على تصريحات لآدم ج. زوبين مدير مكتب مراقبة الأصول الأجنبية في الخزانة الأمريكية: "إنه لمن المثير للقلق أن نرى حكومة فنزويلا توظف عملاء وجامعي أموال لحزب الله يعملون في كامل حريتهم ودون معاقبتهم. وسنستمر في كشف بنية الشبكة التي يبنيها حزب الله على مستوى العالم، ونحن ندعو الحكومات المسؤولة إلى الكشف عن هذه الأعمال". ومثل هذه التصريحات موجهة أكثر إلى حكومة فنزويلا التي نعرف علاقة الولايات المتحدة معها.

161 *Associated Press*, 20 juin 2008

حاليا في الأوساط الشرق أوسطية. فصحيفة السياسة الكويتية ذكرت أن حزب الله كان يدرب فنزويليين صغارا في معسكرات عسكرية في جنوب لبنان، ويحضرهم للهجوم على أهداف أمريكية[162]. وكانت هذه التهمة قد ألصقت أيضا بوزير الداخلية الفنزويلية «طارق العيسمي» بأنه كان يعمل أيضاً مع «غازي نصر الدين» في تجميع وتدريب شباب فنزويليين من أصل عربي يدعمون نظام «شافيز» للذهاب إلى لبنان، حيث يتم تحضيرهم للحرب ضد الولايات المتحدة في حال حصول مواجهة معها، ووفق هذه الاتهامات، فقد أقام حزب الله معسكرات للتدريب تتوفر فيها الذخيرة والمتفجرات داخل فنزويلا أيضا[163]. بالمقابل، فإن «شافيز» يدافع عن حزب الله في القارة اللاتينية دفاعا كبيراً. وخلال حرب 2006 التي استهدفت فيها إسرائيل حزب الله في لبنان والبنى التحتية اللبنانية استدعى «شافيز» سفيره في تل أبيب، ثم وجه الإدانة لإسرائيل بأنهم يديرون حربهم على طريقة هتلر الفاشية[164]. إن تسليط الضوء على العلاقات القوية التي أقامها حزب الله مع فنزويلا شكل مادة للهجوم على «شافيز» شخصياً، ومثال ذلك حضور مسؤول العلاقات الدولية في حزب الله «نواف موسوي» في نيسان 2008 لحفل الذكرى السادسة لهزيمة معارضي «شافيز» في فنزويلا الذي أقيم في السفارة الفنزويلية في بيروت.[165]

***- المكسيك**

قد تكون مكسيكو هي إحدى المدن التي شهدت تركيزا من الصحافة العالمية وحتى العربية على نشاط حزب الله غير الشرعي في المكسيك. وربما يعود ذلك إلى قربها من الحدود الأمريكية. في عام 2001 اجتاز «محمود يوسف كوراني» حدود المكسيك ليصل بسيارته إلى ديربورن في ميشيغان. وكان وفق قرار اتهامه عام 2003 قد اعتبر مذنباً في تقديم «الدعم المادي والمصادر...» لحزب الله. والأمثلة كثيرة حول العبور باتجاه أمريكا، رغم أن الطامحين للعبور بشكل غير شرعي إلى هذا البلد الغني كثر ومن كافة الانتماءات والجنسيات. وقد أوقف في عام 2002 «سليم بوغدير» من أصل لبناني لاتهامه بإدخال أكثر من (200) شخص إلى الولايات المتحدة، ومن بينهم أعضاء في حزب الله، وأدين عام 2008 بـ 60 سنة سجنا في المكسيك[166]. ووفق «ميخائي براون» مدير العمليات المتقاعد في إدارة مكافحة المخدرات الأمريكية DEA ووفق موظفين أمريكيين آخرين، فإن حزب الله يعتمد على كارتلات مكسيكية في تهريب المخدرات، ليمرر الأشخاص إلى الولايات المتحدة.

في حزيران 2010، قالت صحيفة السياسة الكويتية إن المكسيك كانت قد نجحت في احتواء محاولة لحزب الله في إقامة شبكة في أمريكا اللاتينية. ووفق عدة صحف موالية للولايات المتحدة أو لإسرائيل، فإن عملاء لحزب الله يستخدمون مواطنين مكسيكيين لا يزالون مرتبطين بعلاقات مع عائلاتهم في لبنان، حيث يمكن استخدامهم كما يفترض

162 السياسة الكويتية، عدد 20 حزيران 2008

163 Alan Levine, « Hugo's Hezbollah », *FrontPageMagazine.com*, 12 novembre 2008

164 المرجع السابق.

165 Martin Barillas, « Hezbollah Finds Fertile Ground in Latin America Thanks to Iran-Venezuela Axis », *Cutting Edge News*, 1er septembre 2008

166 Sara A. Carter, « Hezbollah uses Mexican Drug Routes into U.S. », *Washington Times*, 27 mars 2009

لاستهداف أشخاص إسرائيليين أو غربيين[167]. والحقيقة أنه تحت ضغط مثل هذه الأخبار المتواترة في الإعلام قامت الشرطة المكسيكية بإطلاق حملة تحقيق حول الجمعيات والأفراد التي يمكن أن تؤمن تمويلا لحزب الله. وكانت المعلومات الاستخبارية التي وردت للشرطة المكسيكية هي بالفعل واردة من مصادر أمريكية حول علاقات هذه المجموعات المكسيكية مع أحد الأمريكيين المقيمين في المكسيك. مع ذلك، ورغم الضجة التي أثارتها هذه التحقيقات، فقد خرج المحقق العام المكسيكي «دانيل كابيزا دو فاكا»، ليهدئ من اندفاع الإعلاميين، ويقول للصحافة إن التحقيق لم يكشف عن «شيء مهم أو أي نشاط غير شرعي».[168]

حزب الله أمريكا اللاتينية

كان الإعلان عن تشكيل حزب باسم حزب الله أمريكا اللاتينية مفاجأة بالنسبة إلى كثيرين من المتابعين، خاصة وأنه أعلن عن فروع له في الأرجنتين وشيلي وكولومبيا والسلفادور والمكسيك. وتعتقد بعض الصحافة في أمريكا اللاتينية، أن العمود الفقري لهذا التنظيم هو حزب الله في فنزويلا الذي يقوده شخص يدعى «تيودور رافائيل دارنوت» يزعم أنه رئيس «فرع» أمريكا اللاتينية. ويمثل هؤلاء النشطاء أنفسهم كمجموعة من الهنود الأصليين من الوايو الذين اهتدوا إلى الإسلام الشيعي، وسموا أنفسهم بـ Autonomia Islamica Wayuu، وكانت هذه المجموعة قد عرفت من خلال إعلانها الاستراتيجي بعنوان أن «الجهاد في أمريكا سيبدأ في عام 2007»[169]. وتمثل هذه المجموعة موضوعا جدليا بالنسبة إلى بعض المهتمين في التحليل السياسي، ويرون أنها يمكن أن تكون أقرب إلى مجموعة من صنع غرفة استخباراتية أكثر منها مجموعة عمل منظم لحزب الله نفسه الذي يختلف بأسلوبه ونمطه العقائدي عن ممارساتها وتوجهاتها. ومع ذلك، يحاول إعلاميون ربط بروز هذه المجموعة مع تطور العلاقات بين «شافيز» و«أحمدي نجاد»[170]. وفي الحقيقة، فإن الرابط الوحيد لهذه المجموعة الذي يمكن اعتباره هو لقاء تم في السجن بين دارنوت زعيم المجموعة المزعوم و«جوزيه ميغل روجاس اسبينوزا»، وهو طالب بعمر 26 سنة في الجامعة البوليفارية سجن لإمساكه وبحوزته متفجرات قرب السفارة الأمريكية في كاراكاس، وتم إيقافه في 23 تشرين الأول من عام 2003. ولم تتمكن سلطات الأمن الفنزويلية من تحديد الجهات القائمة وراء هذه الشبكة.

هل تحاصر الولايات المتحدة فعلا استراتيجية إيران في أمريكا اللاتينية؟ أم إنها تمارس ضغوطا إعلامية وسياسية عليها، لاستثمارها في حربها ضدها، وتجميد التحقيقات أو عدم استكمالها من أجل استثمار هذه القضية في المساومات والضغوط الدولية؟

167 Jack Khoury, « Mexico thwarts Hezbollah bid to set up South American Network », *Haaretz*, 6 juillet 2010

168 « Mexico probes possible Hezbollah financing links », *Reuters*, 13 October 2010

169 درس هذه المجموعة الباحث الإسباني «مانويل تورس ساريانو» وحلل نشأتها وتفاصيل تطورها وعملها. راجع:

Manuel R. Torres Soriano, « La Fascinacion por el exito: el caso de Hezbollah en America Latina », *Jihad Monitor Occasional Paper*, no 1, 17 octobre 2006, <www.ugr. es/~terris/ Hezbollah %20Latino.pdf>.

170 Gustavo Coronel, « The Hezbollah Venezuelan Metastasis », Venezuela Today, 4 septembre 2006, <www. venenews. net/gUStavo-coronel/hizbula-hezbollah-hizbullah+venezuela+hugochavez.html>.

غرقت إدارة «بوش» الابن في المستنقعين العراقي والأفغاني، وأهملت أمريكا اللاتينية وتوسع إيران في هذا الجزء من القارة. وقال مسؤول رفيع سابق في المخابرات الأمريكية CIA ومختص في مكافحة الإرهاب، إن التأثير المتنامي لإيران في المنطقة، الذي لم يكن متوقعا قبل نحو عقد من الزمن، حصل بسبب أن الولايات المتحدة قررت عدم الاهتمام بالمنطقة؟ ولهذا، فقد طلب من الرئيس الجديد «أوباما» أن يعكس السياسة التي اعتمدتها إدارة «بوش»، وأن «يعيد إطلاق الدبلوماسية النشطة باتجاه هذه البلدان القريبة من الولايات المتحدة. فلا بد أن تتحسن العلاقات السياسية والاقتصادية إلى درجة لا تعود معها أية مصلحة تمنع هذه الدول من قطع علاقاتها أو إيقافها مع إيران».[171]

كان الرئيس «لولا دو سيلفا» أول رئيس دولة في أمريكا اللاتينية يتم استقباله من قبل الرئيس «أوباما» في البيت الأبيض في 14 آذار 2009. وخلال هذه المناسبة، أعلن «أوباما» أن البرازيل هي الشريك الأساسي للولايات المتحدة في المنطقة. وكان عدد من المراقبين قد نصح «أوباما» بأن يبدأ بداية جديدة، وأن «يبحث عن علاقة وثيقة مع البرازيل تحديدا، وأن يقيم معها شراكة جديدة قابلة لأن تحقق فوائد مباشرة للطرفين (حيث إن المخاطرة والتكلفة السياسيتين أكثر تكلفة بكثير)[172]. والحال أنه في أيار من عام 2009، أعلنت «هيلاري كلنتون» أن الولايات المتحدة كانت قلقة من توسعات إيران في أمريكا اللاتينية. فقد ترافقت زيارات «أحمدي نجاد» إلى فنزويلا وبوليفيا، وخاصة إلى البرازيل مع ازدياد اهتمام الولايات المتحدة ببرنامج طهران النووي.[173]

أعلن «إليوت إنجل»، الممثل الديمقراطي في الكونغرس، وبكل أريحية أنه لا بد من تنبيه البرازيل أنه من الخطأ استقبال «أحمدي نجاد» في البرازيل[174]. وقبل زيارة «أحمدي نجاد» مباشرة، أرسلت الحكومة الأمريكية ممثلا خاصاً هي «سوزان بروك» إلى البرازيل. ولكن وفق صحيفة ساو باولو، فإن السيدة «بروك» لم تنجح في إقناع وزير الشؤون الخارجية البرازيلي بتغيير موقفه، وهي مواقف متفقة مع طهران، وتتعلق بتعديلين سيتمان على معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية: إنشاء خزان حافظ للوقود النووي يوضع تحت رقابة ووصاية وكالة الطاقة الذرية، والذي سيعنى بمراقبة دفق الوقود النووي والأعمال التجارية التي تتضمن هذا الوقود.

كانت نتائج الزيارة جدية، حيث دفعت «هيلاري كلينتون» إلى تحذير دول أمريكا اللاتينية في 11 كانون الأول: «قبل أن يغازل بعض الأشخاص إيران، عليهم أن يفكروا بالنتائج التي يمكن أن يؤدي إليها ذلك بالنسبة إليهم»، وهي عبارات أثارت استجابة يمكن توقعها من طرف «شافيز» فيما يتعلق بـ «التهديدات التي وجهتها حكومة الولايات

171 John Kiriakou, « Iran's Latin America Push », *op. cit.*

172 Robert Amsterdam, « Why Obama Should Bet on Brazil », 13 mars 2009, <www.huffingtonpost.com/robert-amsterdam/why-o bama-should-bet-on-b_b_174693.html>.

173 Peter Hakim, « A Disappointing First Year: Obama and Latin America », *Foreign Affairs Latinoamérica*, 20 janvier 2010

Paul Richter, « U.S. Diplomacy Stumbles in Latin America », *latimes.com*, 3 janvier 2010.

174 « Presidente de Iran prueba diplomacia brasilena », *op. cit.*

المتحدة»[175]. أما الناطق الرسمي باسم الخارجية الإيرانية «رامين مهمان باراست»، فقد وصف هذه التصريحات بأنها «تخالف معايير الدبلوماسية المتبعة»، ما وجّه ردة فعل البلدان التي تنتمي إلى الألبا *Alba*: «الرفض والإدانة بالإجماع». وهكذا، فقد اتفق رؤساء الألبا على تنمية روابطهم مع إيران أكثر من السابق، ورفض مواقف الولايات المتحدة تجاه الجمهورية الإسلامية. وقد رأى «شافيز» في تصريحات «كلينتون» أنها «سخيفة»، وأظهر عدم خوفه منها. أما الرئيس «إيفو مورالیس»، فأعلن من جهته، أن بلده لن يتراجع وسيعقد علاقات وثيقة أكثر مع إيران.[176]

كانت الولايات المتحدة منزعجة بشكل أساسي من البرازيل بعد زيارة الرئيس الإيراني لها في تشرين الثاني 2009. وكان أحد الأهداف الرئيسة لرحلة «هيلاري كلينتون» في آذار 2010 إلى أمريكا اللاتينية هو إقناع البرازيليين بتقديم دعمهم لحملة العقوبات المتزايدة ضد إيران.[177]

مع ذلك لا بد من الإشارة، إلى أنه قبل أسبوع واحد من زيارة «أحمدي نجاد» إلى البرازيل أعلنت شركة *Petrobras*, التي تديرها الدولة أنها كانت بصدد التوقف عن نشاطاتها في إيران؛ «لأن استثمار المخزون المكتشف لم يكن مناسباً من وجهة النظر التجارية». وأكد مديرها الدولي «جورج زلادا» أن «قرار المغادرة لم يكن بسبب أي شكل من الضغوط السياسية».[178]

واعتبر «بيتر حكيم»، رئيس الحوار بين الدول الأمريكية، أن التعارضات الأمريكية ـ البرازيلية حول البرنامج النووي الإيراني، وتسامح برازيليا فيما يتعلق بقمع المعارضة الداخلية سيظلان مصدرا رئيساً للتوتر في العلاقات الثنائية بينهما. وأمل «الحكيم» أن الحكومة الجديدة التي استلمت مسؤولياتها في مطلع 2011 برئاسة «ديلما روسيف» ستواجه المسألة، وستستعيد الثقة مع الولايات المتحدة.[179] ويعكس ذلك عمق المسألة السياسية في الصراع على أمريكا الجنوبية. فحين بدأت الولايات المتحدة تدرك أنها أمام تحرّر لدول تزداد منعة وقوة في القارة اللاتينية، وأنها يمكن أن تكون أمام نشوء قوى كبرى جديدة على المستوى العالمي، مما يغير في المعادلة الاستراتيجية على مستويات مختلفة، فإن دول القارة الجنوبية بدأت تجد في إيران محورا من محاور إثبات تواجدها الدولي. ولا شك أن إيران هي رابح فعلي في هذه المعركة، طالما أنها وجدت منفذا لها خارج إطار العقوبات المفروضة عليها، بل وأكثر من ذلك، حققت مصالح سياسية وتجارية واقتصادية. وهكذا، فحتى إن كان «أوباما» قد حقق شعبية عالية في أمريكا اللاتينية وصلت

175 Michael Shifter, « Obama and Latin America: New Beginnings, Old Frictions », *Current History,* 1er fevrier 2010

176 « Iran: Clinton's remarks infringe int'l norms », *İslâmi Davet*, 15 decembre 2009, <www.islamidavet.com/english/2009/12/15/iran-clintons-remarks-infringe-intl-norms>.

وهذا الموقع هو موقع إسلامي سياسي وثقافي تركي مناصر لإيران.

177 « U.S. Refocuses Policy Approach in Latin America », *NewHour with Jim Lehrer*, 4 mars 2010.

178 « Brazil Petrobras Considers Ending Iran Operations – Estado », *Wall Street Journal*, 16 novembre 2009

179 Peter Hakim, « Obama Administration Policy in Latin America. Year II », *Testimony at the U.S. House Committee onForeign Affairs*, *Subcommittee on the Western Hemisphere*, 10 mars 2010.

Michael Shifter, « Obama and Latin America: Year One », *El Colombiano*, 26 decembre 2009

إلى 76% في البرازيل مقابل 17% فقط لـ «بوش» وفق Pew Research Center، فإن علاقات الولايات المتحدة مع أمريكا اللاتينية لن تكون سهلة الحسابات أبداً مع توجه هذه البلدان اللاتينية إلى الاستقلال عن الولايات المتحدة. وضمن الجيوسياسة العالمية، فإن تطور العلاقات مع إيران، أصبح فجأة ضرورة قصوى لعدة دول في أمريكا اللاتينية، ولن يحسم هذا الموضوع بالنسبة إلى الولايات المتحدة قبل أن تتضح مواقف التنازعات مع الدول الكبرى، مثل روسيا والصين في أكثر من منطقة من العالم، وخاصة الشرق الأوسط، حيث لإيران نفوذ كبير.

لم ينجح «أوباما» وإدارته في ردّ هذا التحدي الإيراني في أمريكا اللاتينية. وفي خطاب ألقاه «أرتورو فالانزويلا» في 11 كانون الثاني 2011 حول العلاقات بين أمريكا اللاتينية والولايات المتحدة، وهو الأمين المساعد للولايات المتحدة لشؤون القسم الغربي، فهو لم يتعرض حتى للنشاطات المتزايدة لإيران، في حين أن «الموظفين الأمريكيين عملوا بجد على تعميق العقوبات عليها». ويشير ذلك ربما إلى نوع من إدراك الولايات المتحدة لضرورة إيجاد حلول حول طبيعة العلاقات مع إيران نفسها، وليس فقط مع القارة الأمريكية اللاتينية، ولهذا جاء في تصريحه أيضاً، أن العلاقات بين فنزويلا وإيران تهدد الاستقرار الإقليمي بعد «الحرب الباردة»، لكن فنزويلا لم تعر هذه التصريحات أيّ اهتمام[180]. ويمكننا ببساطة أن نقرأ ربما أسباب هذا التحول غير الملحوظ مباشرة في التصريحات خلال السنوات القليلة التالية، ومؤخرا في عهد «ترامب»، مع عودة نسبية لإيران إلى الساحة الدولية بعد الاتفاق النووي، وتراجع التصريحات والاتهامات ضدّها من قبل الصحافة الأمريكية إلى حد ما.

وماذا عن إسرائيل والتحدي الإيراني في أمريكا اللاتينية؟

إن للتواجد الإيراني المتزايد في القارة الأمريكية الجنوبية آثارا سلبية على المواقف الدولية لإسرائيل في المنطقة؛ فإيران وجدت لها حلفاء جدد بعيدا عن الشرق الأوسط، وطورت هذه العلاقات على مستويات عدة: اقتصادية وسياسية وعقائدية. وأدى ذلك إلى أن دولا مثل فنزويلا وبوليفيا قطعت علاقاتها مع إسرائيل وأصبحتا عمليا معاديتين لها. كذلك، فإن سياسة إسرائيل أثرت سلباً على معركة إسرائيل ضد التهديد النووي الإيراني. ومن هنا جاءت المبادرات المهمة التي أطلقتها إسرائيل في عام 2009: تحذير مؤتمر الدول الأمريكية OEA من الخطر الذي يمثله النشاط الإيراني في المنطقة، إضافة إلى أن وزير خارجيتها «أفيغدور ليبرمان» ووزير البنى التحتية «أوزي لاندو» زارا عدة بلدان أمريكية لاتينية، لتفسير خطر شبكة إيران وحزب الله في المنطقة، كما زار رئيس إسرائيل «بيريز» البرازيل والأرجنتين للغاية نفسها. وعبر غير مرة الضباط الإسرائيليون عن قلقهم من دعم فنزويلا لانتشار إيران في المنطقة. وقد حث «بيريز» بصراحة في زيارته للبرازيل مضيفيه على مقاومة تأثير إيران المتنامي في المنطقة، وعلى عدم مساعدة إيران في برنامجها النووي. ووفق ما نقلته الصحافة، فقد قدم لهم تقارير مفصلة حول نشاطات حزب الله وإيران في منطقة الحدود الثلاثة، مبينا أن هدف إيران هو ضرب أهداف إسرائيلية ويهودية في هذه الدول.[181] ولا شك أن إسرائيل في

180 Jaime Daremblum, « Hemispheric Neglect », *The Weekly Standard*, 24 janvier 2011

181 Hannah Strange, « Israel and Iran compete to expand influence in Latin America », *The Times*, 12 novembre 2009

حربها ضد إيران، ستلجأ إلى كافة الطرق لمواجهة أية فرصة لإيران لتحقيق ربح استراتيجي عليها، حتى وإن كان في ساحات بعيدة عن منطقة الصراع الشرق أوسطية. لكنها في توجهاتها الأخيرة، تحاول طبع واقع هذا الصراع بطابع العالمية، ومع كون دول وحكومات عديدة إضافة إلى الولايات المتحدة لها تأثير باق على دول أمريكا اللاتينية، مثل إسبانيا وبرتغال وفرنسا وألمانيا وبريطانيا، فإن إسرائيل تحثهم على إقناع دول أمريكا اللاتينية بأن الفائدة الاقتصادية التي يجنونها اليوم من بعض المساعدات والاتفاقيات مع إيران لن تكون لها فوائد بعيدة المدى، بل هي تجازف بأن تخلّ بالتوازن في الشرق الأوسط، بل وعلى كامل الكرة الأرضية.[182]

من جهة أخرى، تقدر إيران بشكل واقعي مدى قوتها، على عكس كافة المقالات الصحفية التي أكدت أنها تسعى لتصبح قوة يحسب لها حساب على مستوى العالم. في مقابلة مع «محمد رضا جليلي» يقول إن «هذا الطموح يبدو صعب التحقيق؛ فنحن من حيث القوة ضعفاء جدًّا من منظور اقتصادي وسياسي وعسكري. لهذا، فإن سياسة إيران تجاه أمريكا اللاتينية وأفريقيا أيضاً، كانت تهدف بالدرجة الأولى إلى كسر طوق عزلتها. ومع ذلك، فإن بناء علاقات متينة مع دول مثل فنزويلا وبوليفيا يرسل رسالة إلى الولايات المتحدة برغبة إيران في الظهور بمظهر القادر على التأثير في المربع القريب من الولايات المتحدة. ولهذا السبب أيضا، شجعت إيران نشاطات حزب الله على أراضي أمريكا اللاتينية».[183]

بالمقابل، فإن أحداث الاعتداءات على العلماء الإيرانيين المختصين بالنووي يعدّ دافعا حاسماً لإيران لتقوية نفوذها الاستخباراتي والعسكري في هذه الدول التي تعدّ بؤرا للاستخبارات الإسرائيلية من جهة، ومصدرا للمعلومات والإمكانات التقنية من جهة ثانية. لقد أدى مقتل عدد من العلماء الذريين الإيرانيين[184] إلى إيضاح الصورة التي تشكلت خلال القرون القليلة الماضية لحرب خفية في سبيل الدخول إلى صف الأقوياء، وامتلاك المعرفة والتقنية والتكنولوجيا اللازمة لتطوير ليس فقط القاعدة النووية، بل والصناعة الاقتصادية بشكل عام، وخاصة الصناعة الحربية. وعبر هذه الحرب، لا تتردد إيران في ممارسة كافة أشكال التخطيط والتنفيذ اللازمة لبناء مرحلة دخولها إلى العصر الحديث ومشاركتها فيه...

(يتبع)

182 Ely Karmon, « Amérique Latine, défi de l'Iran aux États-Unis dans leur arrière- cour », *Outre-Terre* 2011/2 (n° 28), p. 555

183 où va l'Iran? entretien avec Mohammad-Reza Djalili et Thierry Kellner, réalisé par Emmanuel Lincot, *Programme Asie*, oct. 2016

184 Hélène Sallon, Les scientifiques iraniens du nucléaire, cibles d'une guerre à l'ombre, *Le monde proche orient*, 17. 1. 2012